تلخيص

شرح

الأصول الثلاثة

تلخيص لمجموعة من الدروس ألقيت في:

معهد الدين القيم

بإشراف فضيلة الشيخ: أبي الحسن علي بن مختار الرّملي

حفظه الله

<u>من إعداد مدرس المادة:</u>

أبي عبد الله علي بداني

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾

أمّا بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة.

المجلس الأول

التعريف بالمؤلف:

هو شيخ الإسلام الإمام: أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب.

ولد سنة ١١١٥ هـ في بلدة العيينة في نجد بالمملكة العربية السعودية، في بيت علم وشرف ودين.

حفظ القرآن دون العاشرة من عمره، وأمّ الناس وهو في الثانية عشر من عمره، ورحل في طلب العلم فذهب إلى المدينة النبوية وذهب إلى العراق ثم إلى الشام وكان يرى الشرك المنتشر أنذاك، وبعد ذلك بدأ يجهر بدعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك ورجع إلى بلده وأوذي وأخرج، ولمّا كان في الدرعية آزره وأيده محمد بن سعود الأمير ونصره وتبنى دعوته وبدأت الدعوة من الدرعية.

أبرز مشايخه الشيخ محمد حياة السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله طلاب كثيرون من أبرزهم أبناؤه وأحفاده.

له مؤلفات كثيرة وعظيمة في عدة فنون لكن أكثرها يتعلق بالعقيدة والتوحيد.

أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً ثناءات متتالية.

توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة ١٢٠٦ هـ.

التعريف بالمؤَلف:

رسالة الأصول الثلاثة رسالة قليلة المبنى كثيرة المعنى مؤيدة بالأدلة من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسوله ﷺ، وهي في أصل عظيم من أصول الإسلام وهو العقيدة، وهذه الرسالة من المختصرات في العقيدة وبها يبتدأ العلماء طلابهم حفظاً وشرحاً.

عنوان الرسالة: الأصول الثلاثة.

والأصول: جمع أصل، والأصل ما يُبنى عليه غيره، وهذه الأصول بُني عليها دين الإسلام بالكامل.

هذه الأصول باختصار هي أسئلة القبر الثلاثة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

هذه الأصول تتعلق بأعظم أصول الإسلام وهو: بالعقيدة، والعقيدة هي الأساس وعليها يبنى العمل.

العقيدة: لغة: مأخوذة من العقد والربط والشدّ بقوة.

اصطلاحاً: ما يُعقد عليه القلب.

وبينها وبين المنهج عموم وخصوص فإن المنهج هو الطريق الواضح، نقول: منهج الرسول ﷺ أي: طريقه.

فالعقيدة من المنهج والمنهج أعمّ منها، فإنّ المنهج يدخل فيه: العقيدة، الأخلاق، الفقه .. إلى غير ذلك.

لماذا ندرس الأصول الثلاثة؟

- للإجابة على أسألة القبر الثلاثة، فمن كانت إجابته ثابتة صحيح فقد فاز ومن قال سمعت الناس يقولون قولاص فقلته فقد خاب وخسر.
- لأنّها مشتملة على أدلة هذه الأسئلة الثلاثة.
- نصيحة العلماء واعتنائهم بها.
- وضع الله لها القبول في الأرض.
- لأنّها مختصرة وواضحة.

فهرست الرسالة:

مقدمة:

- المسائل الأربع المذكورة في سورة العصر.
- ثلاث مسائل يجب تعلمها والعمل بها (توحيد الربوبية – توحيد الألوهية- الولاء والبراء).
- الغاية من دراسة التوحيد.

الأصول الثلاثة: وهي:

- معرفة الله.
- معرفة دين الإسلام بالأدلة.
- معرفة النبي ﷺ.

خاتمة:

- تبدأ من البعث بعد الموت إلى آخر الرسالة وفيها أمور مهمة.

أمور مهمة يجب التركيز عليها:

التعريفات / الأدلة / التقاسيم / الفروق / الضوابط:

المجلس الثاني

قال المؤلف رحمه الله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، ابتدأ المؤلف رحمه الله رسالته بالبسملة اقتداءً بالكتاب والسنّة.

فإنّ كتاب الله عز وجل يبتدأ بالبسملة، فأول ما تفتح المصحف أول ما يقع عليه بصرك البسملة، ونبي الله سليمان عليه السلام ابتدأ كتابه إلى بلقيس ملكة سبأ بالبسملة. ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)﴾، والرسول ﷺ كان يبتدأ رسائله إلى الملوك بالبسملة، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري.

الجار والمجرور -**بسم**- متعلقه نقدره فعلاً محذوفاً مؤخراً مناسباً حسب المراد، فإذا جئت تكتب وقلت بسم الله فمعناها: بسم الله أكتب، أو: اكتب مستعينا بالله، وحين الأكل إذا قلت بسم الله يكون تقدير الفعل المحذوف: بسم الله آكل، أو: آكل مستعينا بالله.

وأمّا الحديث الوارد في ذلك: **"كلّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر"** فهو ضعيف لا يصحّ.

قال رحمه الله: **"اعلم رحمك الله"**، أتى بكلمة **اعلم** لإثارة الانتباه، فهو يأمرك بأن تعلم وتجزم بما سيلقى عليك.

العلم: هو إدراك الشيء على ماهو عليه في الواقع إدراكاً جازماً.

وضده الجهل: وهو: بسيط ومركب.

- **البسيط:** عدم الإدراك بالكلية.
- **المركب:** إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع.

قوله: **"رحمك الله"**: دعاء للطالب بأن يرحمه الله وهو تلطف من الشيخ رحمه الله مع الطالب.

قال رحمه الله: **"أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل".**

الواجب: لغة: هو اللازم والساقط.

اصطلاحاً: ما أمر به الشرع على وجه الإلزام، أو نقول: ما يُثاب فاعله ويستحق تاركه العقاب.

الواجب قسمين: **كفائي:** إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين وإذا لم يفعلوا جميعاً أثموا جميعاً.

عيني: وهو ما يلزم كلّ واحد بعينه، أي: بنفسه.

الوجوب الذي ذكره المؤلف هنا لجميع المكلفين والمكلفات لا على طلاب العلم، يدخل في الوجوب الجميع.

وأمّا قوله **تعلم**: لابد في التعلم من الحفظ والفهم.

المسائل: جمع مسألة والمسألة من السؤال (مباحث)، وهو ما يبرهن عليه في العلم.

قال ﷫: **"الأولى: العلم، وهو معرفة الله"،** قال ابن رجب ﷫: معرفة الله قسمين عامة وخاصة.

المعرفة العامة: الإقرار به والتصديق والإيمان، وهي التي قصدها المؤلف ﷫، وهي تقتضي منك الإيمان بالله ﷻ والانقياد لأوامره والبعد عن زواجره.

المعرفة الخاصة: وهذه تقتضي ميلَ القلب بالكلية إلى الله، والانقطاعَ إليه، والأنسَ به، والطمأنينةَ بذكره والحياءَ منه والهيبة له، وهي التي وردت في قوله ﷺ: **"تعرف إلى الله في الرَّخاء يعرفك في الشدة".**

قال ﷫: **"ومعرفة نبيه".**

وهو محمد ﷺ، فتعرف اسمه ونسبه ومولده وموطنه الذي عاش فيه وشرعه الذي جاء به.

قال ﷫: **"ومعرفة دين الإسلام".**

الإسلام: لغة: هو الاستسلام. أي: الانقياد، وأمّا في الشرع فيُطلق على معنيين:

معنى عام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وبتفسير آخر: هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الرُّسل إلى أن تقوم الساعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾، فأتباع الرّسل مسلمون في زمن رسلهم.

معنى خاص: هو الاسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ، فلا دينَ إلّا دينُ محمدٍ ﷺ، فإنّ الاسلام الذي جاء به محمد ﷺ نسخ جميع الأديان التي كانت قبله، فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلمٍ.

قال ﷫: **"بالأدلة:".**

الدليل: هو المرشد إلى المطلوب.

فمعرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام تكون بالإدلة لا تكون بالهوى أو بالتقليد.

هذه الأدلة تنقسم إلى قسمين:

- **أدلة عقلية:** وهي ما يثبت بالعقل والتفكر.
- **أدلة سمعية:** وهي نصوص الكتاب والسنة.

معرفة الله تكون بالأدلة العقلية كما مرّ معنا وذلك بالتأمل في آياته ومخلوقاته، وتكون بالأدلة السمعية.

معرفة نبيه ﷺ تكون بالأدلة العقلية، لذلك أعطى الله نبيه ﷺ معجزات، وتكون بالأدلة السمعية.

أمّا معرفة دين الإسلام فهذه لا تكون إلّا بالأدلة السمعية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الثانية: العمل به".**

أي: العمل بالعلم، والعمل هو الثمرة المطلوبة من العلم.

إذا علمت أنّ الله ﷻ هو: الرازق، فلا تسأل الرّزق إلّا من الله، ولا يتعلق قلبك بغيره أبداً، وإذا علمت أنّ الله واحد في ألوهيته ولا يستحق العبادة معه غيرُه فلا تعبد مع الله أحداً، وإذا عرفت أنّ الله ﷻ بعث محمداً ﷺ نبياً لهذه الأمّة فيجب عليك العمل بذلك، فيجب عليك اتباعه فيما أمر واجتناب ماعنه نهى وزجر وأن لا تعبد الله ﷻ إلّا بما شرعه ﷺ، وإذا عرفت بأنّ الإسلام دينُك فيجب عليك أن تعمل بالإسلام.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الثالثة: الدعوة إليه".**

تدعو الناس إلى ما عرفته من توحيد لله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، تدعو الناس إلى الإسلام الصحيح الخالي من شوائب البدع والخرافات، تدعو الناس إلى الإيمان بالنبي ﷺ واتِباعه، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً"**، فالدعوة إلى الله واجبة، كلٌّ على القدر الذي يستطيعه وحسب علمه.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الرابعة: الصبر على الأذى فيه".**

إذا تعلمت وعملت ودعوت وكنت مقتفيا سنن النبيين والمرسلين فاعلم أنّه لا بد أن يصيبك الأذى، فإنّ الذي يمنع الناس شهواتهم وأهواءهم يؤذونه، فيجب عليك أن تصبر، والصبر واجب، وقد أمر الله به في آيات كثيرة ومدحه ومدح أهله، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾، فيصبر على التعلم وعلى العمل وعلى الدعوة في سبيل الله.

والصبر في اللغة: الحبس، وفي الشرع: حبس اللسان عن التشكي والتسخط والنفس عن الجزع والجوارح عن لطم الخدود وشقّ الجيوب، وهو ثلاثة أقسام:

- صبر على الطاعة حتى يأديها.
- صبر عن المعصية حتى يتجنبها.
- صبر على أقدار الله المؤلمة.

قال رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾"**، في هذا تربية للطالب على الدليل.

الواو في قوله تعالى **والعصر**: حرف قسم، والقسم هنا للتأكيد، والله ﷻ له أن يقسم بما يشاء، وهذا القَسم بهذا المُقسَم به لبيان عظمة الشيء المحلوف به من مخلوقاته، لكن المخلوق ليس له أن يقسم إلّا بالله تعالى، قال ﷺ: **"من حلف بغير الله فقد أشرك".**

والعصر الذي أقسم الله به: أشهر ما قيل في معناه أنّه: وقت صلاة العصر المعروفة، وقيل: العصر هو الدهر، هو الزمان كلّه الذي هو محلّ تحصيل الحسنات أو السيئات.

وجواب القسم هو: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾، وهذا الجواب جاء مؤكداً بإنّ ومؤكداً باللام في قوله لفي، فاجتمعت ثلاثة مؤكدات، وهي: القسم وإنّ واللام.

"إن الإنسان": أي: جنس الإنسان، كلهّ، هذه من صيغ العموم، كلّ إنسان في خسران إلّا من استثناه الله ﷻ بعد ذلك وهم: **الذين امنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر**.

استنبط الشيخ رحمه الله وجوب العلم في سورة العصر من قوله: **إلّا الذين آمنوا**، فإنّ الإيمان هو التصديق لكن بأيّ شيءٍ تُصدق وبأيّ شيءٍ تُؤمن، فهذا التصديق مسبوق بعلم، فأنت تُصدق وتؤمن بما علِمته وتَيقنته، لأنّ العلم قبل القول والعمل.

قال رحمه الله: **"قال الشافعي رحمه الله تعالى: "لو ما أنزل الله حجّة على خلقه إلّا هذه السورة لكفتهم""**.

لأنّ هذه السورة فيها أسباب السعادة وأسباب الشقاوة، والقرآن كلّه هو تفصيل لهذه المسائل الأربعة، ولا يعنى كلام الشافعي أنّ هذه السورة تكفي عن القرآن كلّه، لكنّها كافية في إقامة الحجّة على بني آدم.

قال رحمه الله: **"وقال البخاري رحمه الله تعالى: بابٌ: العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل".**

العمل لا ينفع إلّا إذا كان مبنياً على علم، والعمل الذي يبنى على جهل لا ينفع بل قد يضر.

واستدل على ما قاله رحمه الله بالآية: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ وجه الاستدلال من الآية: فاعلم العلم، واستغفر: العمل، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل لأنّ قول اللسان عمل.

فائدة: مناسبة ذكر المسائل الأربع:

المؤلف أتى بهذه المسائل الأربع وبدأ بتفصيلها، فأول مسألة هي العلم وفسرّه بالعلم بالأصول الثلاثة.

المجلس الثالث

قال ﵀: **"اعلم رحمك الله أنّه يجب على كلّ مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن".**

قوله: اعلم، يُؤتى بها لإثارة الانتباه لما سيلقى عليك.

وقوله: **رحمك الله**، تلطف من الشيخ مع الطالب بالدعاء له.

قوله: **يجب**، الواجب لغة: الساقط واللازم.

وأمّا في الاصطلاح: فهو ما أمر به الشارع أمراً جازماً، أو: ما يُثاب فاعله ويستحق العقوبة تاركه.

وهو ينقسم إلى قسمين:

- **كفائي:** وهو الذي إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين.
- **عيني:** وهو الذي يلزم كلّ واحد بعينه، وهو المقصود بقول المؤلف هنا.

قوله: **تعلم** ثلاث هذه المسائل لا مجرد القراءة والمطالعة، وإنّما التعلم يكون بالحفظ والفهم.

قال ﵀: **"الأولى: أنّ الله خلقنا"**. معنى **خلقنا**: أي: أوجدنا من العدم (من لا شيء).

ودليل أنّ الله خلقنا: عقلي وسمعي، (العقلي: ما يثبت بالعقل، و السمعي: ما يثبت بأدلة الكتاب والسنّة).

من الأدلة السمعية: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾، وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩﴾، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾.

أمّا الدليل العقلي فإنّ كلّ حادِث لا بدّ له من مُحدِث، ووجود مثل هذا الخلق العجيب لا يمكن أن يكون صدفة، والإنسان قبل وجوده عدم، والعدم ليس له القدرة على أن يُوجد نفسه فضلاً أن يُوجد غيره، وإلى هذا أشار الله ﷻ بقوله: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾.

قال: **"ورزقنا"**. من الأدلة السمعية على أنّ الله رزقنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾.

أمّا الدليل العقلي على أنّ الله رزقنا فإننا لا نعيش إلّا على طعام وشراب وهذا الطعام والشراب هو من مخلوقات الله تعالى، والإنسان بعمله للحراثة والسقي ما هو إلّا سبب وإلّا فإنّ الله هو المسبب حقيقة، فمن الذي يرزق الجنين ويوصل له الطعام والشراب في بطن أمّه من غير حول منه ولا قوة.

قال: **"ولم يتركنا هملاً"**. الهمل: هو الشيء المهمل المتروك الذي لا يُعبأ به، والله ﷻ لم يتركنا هملاً بِلا أمر ولا نهي ولا بيانٍ لما نحتاجه في ديننا ودنيانا، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾.

ومن الآيات العقلية أنّه لا يليق بحكمة الله ﷻ أن يخلق هذا الخلق ويُسخر له هذا الكون بأكمله ويُرسل الرُّسل ثم يتركهم بلا حساب ولا عقاب، قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"بل أرسل إلينا رسولاً"**. لمّا كانت العبادة التي أمرنا الله بها وخلقنا لها لا تُؤخذ من استحسانات البشر وآرائهم وعقولهم أرسل اللهُ الرُّسلَ ليبينوا للناس كيفية هذه العبادة، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، والرسول: رجلٌ من بني آدم أوحى الله إليه بشرعٍ وأمره بتبليغه، لإقامة الحجة على الخلق، قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، والله ﷻ تفضل على هذه الأمّة وأرسل إليها أفضل رسله وهو: محمد ﷺ آخر الرسل وخاتمهم.

قال: **"فمن أطاعه دخل الجنة"**. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: **"كلّ أمتي يدخلون الجنّة إلّا من أبى"**، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **"من أطاعني دخل الجنّة ومن عصاني فقد أبى"**.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ومن عصاه دخل النّار"**. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾"**. أرسل الله إلى معشر الجن والإنس محمداً ﷺ يشهد عليهم أمام الله ﷻ أنّه بلّغهم، وليقيم عليهم الحجة، مثلما أرسل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى فرعون ليقيم عليه الحجّة، فكفر فرعونُ بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأخذه اللهُ ﷻ أخذاً شديداً.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"المسألة الثانية: أنّ الله لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته"**.

خلاصة هذه المسألة أنّ من أقرّ بتوحيد الربوبية وجب عليه توحيده وعدمَ الإشراكِ به في عبادته (توحيد الألوهية)، وهذا الأسلوب كثير في القرآن، يذكر الله توحيد الربوبية لإلزام الناس بتوحيد الألوهية، والرسل لم يدعوا الناس إلى عبادة الله فقط، لكن أمروا الناس أن يعبدوا الله وأن لا يعبدوا معه غيرَه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، فالعبادة لا تُسمى عبادة إلّا مع

التوحيد، فإذا خالط الشركُ العبادةَ فسَدت، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾، وفي الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: **"أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عَمِل عَملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"**.

قوله: **"لا ملك مقرب"**. الله ﷻ لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته ولو كان ملكاً مقرباً، والملك واحد الملائكة، مأخوذ من الألوكة، وهي: الرسالة، والملائكة عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، خُلقوا من نور، وهم مقربون من الله ﷻ مكاناً ومكانةً، وهم مع قربهم من الله ﷻ فإنّه لا يرضى لنا أن نشركهم معه في عبادته.

"ولا نبي مرسل". لا يرضى الله أن نشرك معه حتى النبيين والمرسلين وهم خير العباد وأفضلهم، فالله لا يرضى أن نشرك معه أفضل الأنبياء والمرسلين وأفضل الملائكة، فغيرهم من بابٍ أولى.

ثم قال رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾"**.

المساجد إمّا أن تكون:

- المباني المعدّة لإقامة الصلاة (الجوامع).
- مواضع السجود السبعة.
- الأرض: قال ﷺ: **"أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي"** ومنها: **"وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"**.

هذه المساجد بأنواعها كلُّها لله ﷻ لا لغيرِه، فلا يجوز لك أن تعبد بها غيرَه لأنّك إذا فعلت ذلك تكون قد استعملت خلقَه في عبادة غيره.

فلا: هذه: لا الناهية.

تدعوا: خصّ الدعاء بالذكر لأنّ الدعاء يشمل العبادة، وفي الحديث: **"الدعاء هو العبادة"**، والدعاء قسمين:

- **دعاء عبادة:** وهو التعبد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه كالصلاة وكالصيام وغيرها.
- **دعاء مسألة:** طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو يدفعه.

وكلمة **أحداً:** نكرة مسبوقةٌ بنهيٍ فهي تعمّ وتشمل كلَّ أحدٍ وكلّ شيء.

قال المؤلف رحمه الله: **"الثالثة: أنّ من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله"**

هذه المسألة تتعلق بأصل عظيم من أصول الدين وهي مسألة الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين والبراءة من الشرك والمشركين، فإنّه من حقق المسألة الأولى فوّحد الله تعالى واتبع رسوله ﷺ وحقق المسألة الثانية ولم يشرك معَه غيرَه لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله.

ومعنى حادّ الله: أي هو في حدّ والله ورسوله في حدّ، والموالاة: من الولاء وهي هنا: المحبّة والنصرة.

فالمسلم الموّحد لا يُحبّ الكافر ولا يوادّه بل يبغضه ويعتقد أنّه عدو له.

قال رحمه الله: **"ولو كان أقرب قريب"**. إذا كان هذا القريب من النسب محادٌّ لله ولرسوله فيجبُ عليك عدم موالاته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾.

ثم قال رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾"**.

لا تجد: الخطاب للنبي ﷺ وأمته تبع له في ذلك، فلا تجد، أي: لا يقع هذا ولا يكون موجوداً أبداً أن يكون هناك قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله.

قوله تعالى: **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان، أولئك:** أي: الذين لا يوالون أعداء الله، **كتب:** أي: أثبت في قلوبهم الإيمان ورسّخه، **وأيدهم بروح منه:** أي: بقوة منه وبنصر من عنده.

ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ورضي الله عنهم لمّا أغضبوا أعداءه.

تنبيه: مسألة البراءة من الكفار وعداوتهم وبغضهم لا توجب إهمال دعوتهم إلى الإسلام، فإنّ إسلامهم مطلب شرعي يحصل به الخير الكثير، والبراءة منهم لا تقتضي مقاطعتهم في الأمور الدنيوية كالبيع والشراء، فإنّ النبي ﷺ كان يتعامل مع الكفار بيعاً وشراءً، ولا يعني البراءة منهم كذلك عدمَ الإهداءِ لهم فإنّ النبي ﷺ أهدى لهم وتألف قلوبَ من يُرجى إسلامَه منهم، وقَبِل هداياهم وأكل طعامهم المباح، وللوالد الكافر على ولده المسلم أن يبرَّه ويطيعُه في طاعة الله ورسوله.

البراءة من الشرك وأهله تكون: بالقلب، فتبغضهم في قلبك، **وباللسان:** قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾، **وبالجوارح:** وذلك بعدم التشبه بهم في ألبستهم ومظاهرهم الخاصة بهم ومشاركتهم أعيادهم.

المجلس الرابع

قال رحمه الله: **"اعلم أرشدك الله لطاعته أنّ الحنيفية ملّة أبراهيم".**

قوله **اعلم** سبق وأن قلنا بأنّه يُؤتى بها لإثارة الانتباه لما سيلقى عليك.

أرشدك الله لطاعته: أي: هداك الله إلى امتثال أمره وترك نهيه، فإنّ الرُّشد هو الاستقامة على طريق الحق.

الحنيفية هي ملّة إبراهيم عليه السلام، فما هي الحنيفية؟

الحنيفية: نسبة إلى الحنيف، وهي من الحنف، أي: المائل.

تقول العرب: رجلٌ أحنف، أي: مائلُ القدم، ورجل حنيفٌ، أي: متنسك متعبد.

فالحنيفية هي: الملّة المائلة عن الشرك إلى التوحيد، وهي: الطريق المستقيم الذي يحبّه الله ويرضاه، وهي دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾، وملّة إبراهيم: دينه وشريعته التي سار عليها، ووصف الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أنّه كان حنيفاً، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾.

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ باتباع ملّة إبراهيم في عدّة مواضع في كتابه منها: قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾، وقال ﷺ: **"بعثت بالحنيفية السمحة".**

وإبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن، وهو أبو الأنبياء، وقد تكرر ذكر منهجه في مواضع كثيرة للاقتداء به، فما هي الحنيفية التي كان عليها إبرهيم عليه السلام كي نسلكها ونتبعها؟

قال الشيخ رحمه الله: **"أن تعبد الله مخلصاً له الدين".**

فسّر الشيخ رحمه الله الحنيفية: بأن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وأخذ الشيخ رحمه الله هذا التعريف من قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾، فملّة إبراهيم عليه السلام تجمع بين العبادة والإخلاص.

والعبادة في اللغة هي: الخضوع والتذلل، يُقال: طريق معبد، أي: مذلل بكثرة الوطأ والمشي عليه.

وأمّا في الشرع: بالمعنى العام: غاية الحبّ مع غاية الذلّ، وهذا تعريف ابن القيم رحمه الله.

معنى خاص: اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

والإخلاص هو: التنقية، تقول: ذهب خالص: أي ذهب صافٍ من كلّ ما يشوبه.

وفي الشرع: أن ينقي الإنسان إرادته وقصده بالعمل من إرادة وقصد غير الله تعالى.

فالإخلاص: أن يعبد الإنسانُ الله ﷻ وحده لا شريك له، فلا يقصد بعبادته غيرَ الله وثوابَه، فلا يعبدُ معه غيرَه لا ملكاً ولا نبياً، لا ولياً ولا جنياً، لا شجراً ولا حجراً.

قال الشيخ رحمه الله: **"وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ ومعنى يعبدون: يوحدون".**

قوله **وبذلك**، أي: بالحنيفية، أمر الله جميع الناس، وخلقهم لأجلها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾، والمؤلف استدل بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، وفيها ذكر الغاية والحكمة من خلق الجنّ والإنس وهي عبادته وحده ﷻ والإخلاص له في ذلك.

فسّر ابن عباس رضي الله عنهما يعبدون بيوحدون، أي: يوحدوني في العبادة ويخلصوا لي في هذه العبادة ولا يشركوا معي غيري.

قال رحمه الله: **"وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة".**

التوحيد في اللغة: مصدر من: وحّد يُوّحد توحيداً، إذا جعل الشيء واحداً.

وفي الشرع: إفراد الله ﷻ بما يختص به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات.

وأنواع التوحيد ثلاثة:

- **توحيد الربوبية:** وهو أن تُفرد الله بالخلق والرّزق والتدبير، أي: توّحد الله في أفعاله هو ﷻ.
- **توحيد الألوهية:** وهو توحيد العبادة، فتفرد الله في عبادتك لله ﷻ ولا تشرك به غيره، أي: توّحد الله في أفعالك.
- **توحيد الأسماء والصفات:** إفراده بما سمّى به نفسه ووصف في كتابه أو في سنّة نبيه ﷺ بإثبات ما أثبت ونفي ما نفى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

المؤلف رحمه الله فسّر التوحيد بقوله: إفراد الله بالعبادة، ففسره بتوحيد الألوهية لأنّ توحيد الألوهية أعظم أنواع التوحيد، ولأنّ توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وهذا النوع الاهتمام به آكد لأنّ أكثر الناس منكرون له، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم، وهذا الذي ضلّ في المشركون الأوائل، وقد قاتلهم النبي ﷺ مع إقرارهم بتوحيد الربوبية، فيجب الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة، ولعظم أمر التوحيد تركزت دعوة النبي ﷺ في مكّة على التوحيد، إلى إفراد الله بالعبادة، وكان النبي ﷺ يقول: **"يا قوم قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا"**، وكان يأمر من كان يُرسله إلى الدعوة أن يبدأ بالتوحيد.

قال رحمه الله: **"وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو: دعوة غيره معه".**

الشرك في اللغة: هو الحظ والنصيب. وفي الشرع عرّفه النبي ﷺ بقوله: **"أن تجعل لله نداً وهو خلقك".**

والشرك نوعان:

- **أصغر:** وهو تحت المشيئة وصاحبه يدخل الجنّة.
- **أكبر:** وهذا لا يغفره الله لمن مات عليه وصاحبه مُخلّد في النّار.

والمؤلف رحمه الله عرّف الشرك بقوله: **وهو دعوة غيره معه**، أي: دعاء غير الله مع الله، فإنّ الدعاء كما مرّ معنا هو العبادة وهو قسمين: دعاءُ مسألة ودعاءُ عبادة، فدعوة غيره معه، أي: عبادة غيره معه.

هذا الشرك هو أعظم العظائم وأكبر الكبائر وكلّ ذنب عُصي الله به دونَه وأقلُّ منه ويغفرُه الله لمن شاء إلّا الشرك فإنّ من مات عليه لا يغفره الله له ويُخلّد في النّار ولا يَخرج منها أبداً، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ٤٨﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١١٦﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٧٢﴾.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: **"أن تجعل لله نداً وهو خلقك"**، قلت: إنّ ذلك لعظيم، ثم ماذا؟ قال: **"أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك"**، قلت: ثم ماذا؟ قال: **"أن تزاني حليلة جارك"**، والنبي ﷺ بدأ بالأعظم فالأعظم فالشرك أعظم من قتل النفس المحرّمة وأعظم من الزّنى، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾، وفي حديث آخر يقول ﷺ: **"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟"** قلنا: بلى يا رسول الله؟ قال: **"الإشراك بالله"** متفق عليه، وفي صحيح مسلم عن جابر قال ﷺ: **"من لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنّة ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النّار".**

قال ﵀: **"والدليل قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾".**

واعبدوا: أمر بعبادة الله وحده، والعبادة لا تسمى عبادة إلّا مع التوحيد، ولا تشركوا: نهي عن الشرك بالله.

و **شيئا** هنا نكرة في سياق النهي، وهي تفيد العموم، فلا تُشرك مع الله لا ملكاً ولا نبياً ولا إنساناً ولا صالحاً ولا ولياً ولا قبراً ولا جنّاً ولا شجراً ولا حجراً ولا غير ذلك.

ووجه استدلال الشيخ ﵀ بهذه الآية على أنّ أعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك كونَ هذه الآيةِ واقعةٌ في آية الحقوق العشرة من سورة النساء، فبدأ الله ﷻ فيها بحقّه ثم ذكر بقية الحقوق وفي هذا دليل على أنّ أعظم حقَ هو حقُ الله ﷻ وذلك بإفراده بالعبادة وعدمَ الإشراكِ به،

والله ﷿ ما بدأ به إلّا لعظمته ولأهميته، والآيات الدّالة على هذا الأمر كثيرة جداً حتى قيل إنّ القرآن كلّه في التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، وكذلك الآية التي في بداية سورة البقرة التي فيها أول نداء وأول أمر وأول نهي وهي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾، فأعظم أمرٍ أمر الله به التوحيد وغيرُه دونَه، وأعظم نهيٍ نهى الله ﷻ عنه الشرك وغيرُه دونّه ولو كان أكبر الكبائر فإنّ الشرك أكبرها وأعظمها.

وعليه يتلخص لنا مما سبق أنّ الشيخ ﵀ في هذا الفقرة بين أسباب دراسة التوحيد ونجملها في نقاط:

- التوحيد دين الحنفاء.
- أعظم ما أمر الله به.
- ندرس التوحيد كي نحذر من الشرك لأنّه أعظم ما نهى اللهُ عنه.
- لأجل التوحيد أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.
- التوحيد سبب لدخول الجنّة ابتداء أو انتهاء.
- والتوحيد يعصمك من دخول النار ابتداء أو انتهاء.
- التوحيد سبب لتكفير الذنوب
- التوحيد سبب لقبول باقي الأعمال، فالمشرك لا يقبل الله أعماله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾.
- التوحيد سبب لشفاعة النبي ﷺ في الإنسان الموّحد.
- سبب لحصول الأمن والهداية والطمأنينة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾.

المجلس الخامس

قال: **"فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجبّ على الإنسان معرفتها"**. الأصول: جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومنه أصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، وهذه الأصول بُني عليه دين الإسلام بالكامل.

قال رحمه الله: **"فقل: معرفة العبد ربّه ودينه ونبيه محمداً ﷺ"**. بدأ يفصل في ذكر الأصول الثلاثة، وهي باختصار أسئلة القبر الثلاثة: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ورد ذكر هذه الأسئلة في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، ومحلّ الشاهد منه قوله ﷺ: **"فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ في مكانه فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"**، وهذه في المؤمن، أمّا الكافر، **"يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي"**. فمن وُفق في الإجابة فقد فاز، ومن أخفق فذلك هو الخسران المبين.

قال رحمه الله: **"فإذا قيل لك: من ربّك؟ فقل: ربّي الله الذي ربّاني وربّى جميع العالمين بنعمه"**. قل معتقداً جازماً بلا شكٍّ: ربّي الله، وتربية الله لعبادة: رعايته لهم، والله تكفل بسائر أمور عباده، وتربية الله نوعان:

عامة: تشمل كلّ أحدٍ، المسلمَ والكافرَ البرّ والفاجرَ، وهي تربية دنيوية، وهذا دليل عقلي للاستدلال بأنّ الله هو ربّي.

تربية خاصة: هذه تشمل عباد الله المؤمنين وهي تربية دينية، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

وقد أشار الله إلى نوعي التربية العامة والخاصة بقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾، فقوله تعالى: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ تربية العامة، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ تربية خاصة لمن أراد الله هدايتهم إلى طريق الخير.

قال رحمه الله: **"وهو معبودي ليس لي معبود سواه"**. إقرارك بالربوبية لا يكفي، لا بدّ من الاعتراف بالألوهية لله، فلا يكفي أن تقول: **ربّي الله الذي ربّاني وربّى جميع العالمين بنعمه**، لا بد كذلك أن تضيف إليها: **وهو معبودي ليس لي معبود سواه**، فعبادتي لله لا لغيره، وهذا الفرق بين المُوّحد والمشرك.

الموّحد: يُوّحد الله عز وجل بربوبيته ويُقرّ ويُوّحد الله بالعبادة، فلا يعبدُ مع الله أحداً، ولا يُشرك معه غيرَه.

المشرك: يُوّحد الله بربوبيته لكن في عبادته يعبد مع الله غيرَه.

والمؤلف رحمه الله ذكر توحيد الربوبية لإلزام الناس بتوحيد الألوهية، فمن أقرّ لله بالربوبية فعقلاً لا يحقّ له أن يصرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾"**. **الحمد:** هو الثناء على المحمود مع محبته وإجلاله، الـ : في **الحمد:** هي للاستغراق، أي: جميع المحامد لله، فهو المستحق للحمد الكامل.

والشاهد من الآية قوله تعالى: **ربّ العالمين**، العالمين: جمع عَالَم، والله ربّ كلّ هذه العوالم، أي: مربيهم بنعمه (فهو خالقهم ومالكهم ومدبر أمورهم).

قال رحمه الله: **"وكلّ ما سوى الله عالمٌ وأنا واحدٌ من ذلك العالم"**. كلّ من سوى الله سمُّوا عالماً لأنّهم عَلَمٌ على خالقهم ومالكهم ومدبر أمورهم، فالسماواتُ عالمٌ، والأرضُ عالمٌ، والجّنُ عالمٌ والملائكةُ عالمٌ، والله هو ربّ كلّ هذه العوالم، ربُّ العالمين.

قال رحمه الله: **"فإذا قيل لك: بم عرفت ربّك، فقل: بآياته ومخلوقاته"**. الآيات: جمع آية، وهي العلامة على الشيء التي تدلّ عليه وتبينه، وآيات الله على نوعين: كونية وشرعية.

- **الآيات الكونية:** المخلوقات كالليل والنهار والشمس والقمر.
- **الآيات الشرعية:** الوحي الذي أنزله الله على رسله.

المؤلف قال: بآياته ومخلوقاته مع أنّ الآيات تشمل المخلوقات، والمؤلف رحمه الله قصد بقوله: عرفنا ربّنا بآياته، أي: عرفناه بآياته الشرعية والكونية جميعاً لأنّه قال بعدها: **ومن آياته: الليل والنّهار والشمس والقمر** (وهذه آيات كونية)، ثم قال: ومخلوقاته (مع أنّ هذه المذكورات مخلوقات) فيكون هذا من باب عطف الخاص على العام، لأنّ كلّ مخلوقٍ آية، وليس كلّ آيةٍ مخلوقاً، فالآيات أعمّ من المخلوقات، ومن فوائد هذا الأسلوب التنبيه على منزلة ما سيذكر.

قال رحمه الله: **"ومن آياته: الليل والنّهار والشمس والقمر"**. سميت آيات لأنّها دلالات على خالقها سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله: **"ومن مخلوقاته: السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما"**. آيات من آيات الله.

قال رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾"**. خصص هذه الأربع بالذكر لعظمها، الشمس والقمر والليل والنهار، وهي من أبرز العلامات المشاهدة، فهذه المخلوقات مع عظمها فهي مخلوقة مثلكم فلا تسجدوا لها (لا تعبدوها)، ولكن اعبدوا خالقها وهو الله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله: **"وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾"**.

في الآية دليل على أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق السماوات والأرض.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾ أي: خالقكم ومعبودكم، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ خلقها الله في ستة أيام مع أنّ الله ﷻ قادر على خلقها في لحظة لحكمة يعلمها هو ﷻ، وفي هذا تعليم لعباده الأناة وعدم العجلة، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: أي: ارتفع وعلا علواً يليق بعظمته وجلاله، ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يغطي أحدهما الآخر، فيتعاقب الليل والنّهار، ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: مباشرة دون تأخر، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي: مذللات لمصالح العباد بأمره، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾: له الخلق وحده ﷻ، إذا أراده فلا يشاركه فيه أحد، والأمر: هو كلامه ﷻ وينقسم إلى قسمين:

- **أمر كوني:** وهو قضاؤه وقدره في الكون، يأمر المخلوقات فتطيعه ﷻ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾.
- **أمر شرعي:** هو وحيه المنزل الذي يأمر به عباده، ويدخل فيه الأوامر والنواهي التي في القرآن والسّنة.

فإذا كان لله الخلق وله الأمر فلم يبق شيء لغيره، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾: تعاظم الله ربّ العالمين، وفي الآية إلزام العباد بتوحيد الألوهية لإقرارهم واعترافهم بتوحيد الربوبية.

قال رحمه الله: **"والربّ هو المعبود".** أي: المستحق للعبادة، ولا يستحقها غيرُه، فإذا أقررت بأنّ الرّب هو الله يلزمك أن تُقرّ بأنّه هو المعبود، وأنّ غيرَه لا يستحق من العبادة شيئاً.

قال رحمه الله: **"والدليل: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾".** هذه الآية في بداية سورة البقرة وفيها أولُ نداء وأولُ أمر وهو أمرٌ بالتوحيد، وأولُ نهي وهو نهي عن الشرك، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: نداء للجميع مؤمنين وكفار ومنافقين، ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾: أي: أخلصوا له العبادة لأنه ربُّكم، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: لأجل أنّه خلقكم وخلق من قبلكم فيلزم أن تعبدوه وحدَه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقون عذابي وتتقون النّار، ثم واصل الاستدلال على ربوبيته وعبوديته ليزمهم بعبادته وحدَه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: أي: بساطاً، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: أي: سقفا، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: أي: من العلّو، من السحاب، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: لا تجعلوا للذي خلقكم وخلق من قبلكم والذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل لكم من السماء ماءً، لا تجعلوا له أنداداً تعبدونها مع الله (والأنداد: جمع ند، وهو: المثيل والنظير)، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: تعلمون أنّه لا ندّ له، وأنّ بيده الخلق والرّزق والتدبير.

قال رحمه الله: **"قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة""**. كلامه رحمه الله واضحٌ، فمن أقرّ بتوحيد الربوبية لزمه الاقرار بتوحيد الألوهية ولا بدّ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: **"وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام والإيمان والإحسان"**. العبادة في اللغة: الخضوع والتذلل، يُقال: طريقٌ معبدٌ، أي: مذلل، وفي الشرع: عرّفها شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: **اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**. اسم جامع: أي: يجمع أشياء كثيرة هي: كلُّ ما يحبّه الله ويرضاه، والعبادات حسب التعريف أقوال وأعمال، فالعبادات إمّا أن تكون قولية وإمّا أن تكون عملية، وهي إمّا أن تكون ظاهرةً وإمّا أن تكون باطنةً، قول اللسان كالذكر والتلاوة، قول القلب نيته وقصده، عمل القلب كالتوكل، وعمل الجوارح كالصلاة والصيام، وعبودية الناس لربّ العالمين قسمين:

- **عبودية عامة:** تشمل الجميع، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾، هذه عبودية قهرٍ وتصرفٍ وتذللٍ.
- **عبودية خاصة:** خاصة بعباد الله المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢﴾، وهذه عبودية الطاعة.

والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ أعطانا ضابطاً للعبادة وهو: **كلّ ما أمر الله به**، الأوامر (على وجه اللزوم أو الاستحباب)، النواهي (على وجه التحريم أو الكراهة)، فالعبادة هي: الأوامر والنواهي، ومن شروط قبول العبادة: **الإخلاص:** أن تكون خالصة لله وحده لا شريك له فيها، **والمتابعة:** أن تكون في هذه العبادة متبعاً للنبي ﷺ.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **"ومنه الدعاء والخوف والرّجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذّبح والنّذر وغيرُ ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلُّها"**. ذَكرها هنا إجمالاً من باب التمثيل لا الحصر، وسيبدأ في تفصيلها مع ذكر أدلتها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: **"والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾"**. المساجد بأنواعها المذكورة سابقاً مِلكٌ لله تعالى، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ (لا دعاءَ عبادة ولا دعاءَ مسألةٍ)، فإذا حُمل معنى الدعاء في الآية على دعاء العبادة، يكون معنى الآية: فلا تعبدوا مع الله أحداً، وإذا حُمل على دعاء المسألة، يكون المعنى: فلا تسألوا على وجه التعبد أحداً، والمعنيين مُحتَمَلين فلا يوجد عندنا قرينة نُرجح بها أحد المعنيين عن الآخر، و **أحداً**: نكرة في سياق النهي تفيد العموم، والنهي عن الشيء أمرٌ بضده وهو: اعبدوا الله وأفردوه بالعبادة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: **"فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر"**. من توجه بأيّ نوعٍ من أنواع العبادة شيئاً ولو قلَّ لغير الله (أيّاً كان هذه المُشرَك به) فهو مشرِكٌ كافرٌ لأنّه عبد غير الله مع الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: **"والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾"**. **ومن يدع:** تشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، **لا برهان له:** صفة كاشفة مبينة لواقع من يدعُ مع الله إلها آخر، وفي الآية حكم الله على من يدع مع الله إلها آخر بالكفر.

المجلس السادس

بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتفصيل القول في العبادات التي مثل بها بالأدلة على كونها عبادات، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ استعمل طريقتين في الاستدلال على أنّها عبادات لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

طريقة عامة: يستدل على أنّ هذه المذكورات عبادات، فإذا ثبتت بالدليل أنّها عبادة، يستدل لها بالأدلة العامة أنّه لا يجوز صرف العبادة لغير الله، ومن صرفها لغير الله فهو: مشركٌ كافرٌ.

طريقة خاصة: الأدلة المستدل بها تبين أنّ صرف هذا النوع من العبادة في حدّ ذاته لغير الله شركٌ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وفي الحديث: "الدعاء مخ العبادة"، والدليل قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾".

بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدعاء لمنزلة الدعاء من العبادة، ولأنّ الشرك فيه أكثرُ من غيره، استدل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث: **"الدعاء مخّ العبادة"** وهو حديث ضعيف، لكنّ معناه هو معنى الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ: **"الدعاء هو العبادة"**، وفيه دليل على أنّ الدعاء عبادة وهو يُبين لك منزلة الدعاء من العبادة، فالدعاء أعظمها، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾، وفي هذه الآية أمور: أَمرَ الله عبادَه بدعائه، ووعدهم على الدعاء بقسميه (دعاء المسألة بالإجابة بتلبية الطلب، وعلى دعاء العبادة بالإجابة بقبول هذه العبادة والثواب عليها)، وسمّى الدعاء عبادة في الآية، لأنه قال في آخرها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾.

أقسام الدعاء:

دعاء العبادة: بأن يتعبد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه، كالصلاة والصيام، هذا النوع صرفه لغير الله شرك أكبر.

دعاء المسألة: وهو دعاء الطلب، (طلب ما ينفع الداعي من جلب نفعٍ أو دفع ضُرٍ) وهو قسمين:

- فيما لا يقدر عليه إلّا الله كإنزال المطر وطلب الولد، وهذا صرفه لغير الله شرك أكبر.
- فيما يقدر عليه المخلوق: كأن تقول لأحد: أطعمني، هذا جائز بشرط أن يكون: **حيًّا حاضراً قادراً**.

أقسام الناس في الدعاء:

- لا يدعو الله أصلاً: وهذا مستكبر عن عبادة الله كما في الآية.
- يدعوا الله ويدعوا غيرَه معه: وهذا مشرك بالله.
- يدعوا الله وحده وهذا هو الموّحد.

قال رحمه الله: **"ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾"**. الخوف: هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاكٌ أو ضررٌ، والخوف محلّهُ القلب لكن قد يظهر أثره على الجوارح.

والآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله نزلت بعد غزوة أُحدٍ، حينما قيل: إنّ قريشا تُعدّ لكم العدّة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾: نهي من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين عن الخوف من غيره، وفي قوله: ﴿وَخَافُونِ﴾أمرٌ بالتعبد له بالخوف (فإنّ جميع ما أمر الله به شرعاً فإنّه يُحبّه ويرضاه، والخوف من الله أمر الله به، وفي هذا دليلٌ على أنّه عبادة، وإذا ثبت أنّ الخوف من الله عبادة فلك أن تستدل بالأدلة العامة التي تخبر بأنّ من صرف العبادة لغير الله فهو مشرك كافر، ولك أن تستدل بالآية التي ساقها المؤلف رحمه الله بدون الرجوع إلى الأدلة العامة لأنّ الله تعالى جعل الخوف منه شرطاً لحصول الإيمان، فلا إيمان بلا خوف منه سبحانه وتعالى، قال في الآية: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أقسام الخوف:

<u>خوف واجب</u>: هو المذكور في الآية، وهو خوف العبادة والتعظيم والسّر، وهو خاصٌ بالله تعالى، وهذا النوع صرفه لغير الله شرك أكبر، وهو شرط في الإيمان، ولا إيمان بدونه، فنحن نتعبد لله سبحانه وتعالى بالخوف منه، فلا نخاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، هذا الخوف الواجب قد يكون محموداً وقد يكون مُحرّماً.

المحمود: ما حمل صاحبه على فعل الطاعة وترك المعصية.

المحرّم: ما حمل صاحبه على القنوط واليأس من رحمة الله، فيبقى في المعصية ولا يتوب منها، هو خوف من الله لكنّه خوف زائد عن حدّه، ويلحق به كذلكَ الخوف من غير الله الذي يؤدي لترك واجب أو فعل مُحرّم، كأن يخاف من الخلق أن يعيبوه في أداء واجب فيتركه مجاراة لهم.

<u>خوف مباح</u>: وهو الخوف الطبيعي كخوف الإنسان من النّار ومن السباع، قال الله تعالى واصفاً حال موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي: من البلد.

قال رحمه الله: **"ودليل الرّجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾"**.

الرجاء: هو الطمع في أمر محبوب، وهو من العبادات القلبية، وهو قسمان:

- **مباح:** وهو أن ترجو من المخلوق شيئاً يقدرعليه، أرجوك أن تفعل، وبمقدوره فعل هذا الشيء الذي رجوته منه، وهذا ليس من العبادة وليس المقصود معنا.
- **ممنوع:** وهو رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، كإنزال المطر وشفاء المريض، وهذا رجاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك، وهو المقصود.

وعلى العموم فالرجاءُ المتضمنُ للذلِّ والخضوع لا يكون إلّا لله عز وجل وصرفه لغيره شرك.

المؤلف رحمه الله استدل بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾.

والمعنى: من كان يطمع في ثواب الله عز وجل ورؤيته عَياناً يوم القيامة وفي الجنّة فليأت بالسبب الذي يُحقق رجاءه وهو العمل الصالح بركنيه: الإخلاص والمتابعة، و الحذر من الشرك كبيره وصغيره، فامتدح الله في هذه الآية من رجى الله، وفي هذا دليل على أنّ الرجاء عبادة.

والإنسان في سيره إلى الله يجمع بين الخوف والرجاء فهما للإنسان بمثابة الجناحين للطائر فإذا استقاما استقام طيرانه وإذا سقط أحد الجناحين سقط وصار في عداد الموتى، فمن سار بالخوف بدون رجاء هلك وحمله ذلك على اليأس والقنوط من رحمة الله، ومن سار بالرجاء دون الخوف هلك وأمِنَ عقوبة الله وصار يفعل المعاصي ولا يُبالي، فالمؤمن يخاف الله فيطيعُه ولا يعصيه، ويرجو عفوَّه ومغفرَته ورحمتَه وجزاءَه.

قال رحمه الله: **"ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾".** **التوكل:** هو الاعتماد. (اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار).

وهو من أعظم العبادات القلبية، وهو من علامات الإيمان وصدقه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر (أي: توكلوا على الله وحده لا على غيره)، ومن لم يتوكل على الله فليس بمؤمن، وهذا دليل خاص على أنّه لا يجوز التوكل على غير الله، وفيها دليل عام على أنّ التوكل عبادة لأنّه مما أمر الله به سبحانه وتعالى وما دام أنّه عبادة فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وإذا صدق العبد في توكله على ربّه كفاه حاجتَه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، أي: كافيه، والتوكل لا يُنافي الأخذ بالأسباب المشروعة، ومن ذلك أنّ الرسول ﷺ كان يأخذ بالأسباب، فأنت تعمل الأسباب وتأخذ بها لكن لا تعتمد عليها ولكن تعتمد على الله سبحانه وتعالى.

في الحديث: قال رسول الله ﷺ: **"لو أنّكم تتوكلون على الله حقّ توكلّه لرزقكم كما يَرزق الطير تغدو خِماصاً وتعود بطاناً"**، فالطيور لا تمكث في أوكارها بل تخرج وتبحث عن طعامها، وهذا من اتخاذ الأسباب.

التوكل منه ما هو:

واجب وصرفه لغير الله شرك أكبر: وهو الاعتماد المطلق على الله وتفويض جميع أموره إليه واعتقاد أنّ بيده جلبَ المنافع ودفعَ المضار.

شرك أصغر: وهو اعتماد على حيٍّ مع نوع افتقار، كالاعتماد على الأمير في حصول المعاش مع الافتقار والتذلل.

والتوكيل جائز، وقد وكّل النبي ﷺ في شؤونه الخاصة والعامة وهذا ليس من العبادة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ودليل الرّغبة والرّهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾".**

الرّغبة: هي طلب الشيء المحبوب.

الرّهبة: هي الخوف المثمر للهرب من المخوف (خوف مقرون بعمل، وعليه: كلّ رهبة خوفاً وليس كلّ خوفٍ رهبة، فالخوف أعمّ من الرّهبة) وقيل: بمعنى الخوف.

الخشوع: هو نوع من التذلل والخضوع لله ﷻ.

وفي الآية: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ أي: الأنبياء، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يتسابقون إليها، ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾: يدخل فيه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ﴿رَغَبًا﴾: طمعا في ثوابه، ﴿وَرَهَبًا ۖ﴾: خوفا من أليم عقابه، فجمعوا بين الرّغبة والرّهبة، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: أي متذللين، أصل الكلام: وكانوا خاشعين لنا، فتقديم الجار والمجرور على العامل يفيد الحصر والاختصاص، فالمعنى أنّهم كانوا لنا خاشعين لا لغيرنا، فالخشوع من أعمال العبد المختصة بالله، فهو عبادة ولا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وهذه الثلاث استدل لها المؤلف بهذه الآية وذلك أنّ الله ﷻ امتدح وأثنى على أنبيائه لاتصافهم بهذه الأوصاف الرّغبة والرّهبة والخشوع، فهي صفات يُحبّها الله ويرضاها، فهي عبادات ولا يجوز صرفها لغيره.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ودليل الخَشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾". الخَشية:** هي خوف مبني على العلم بعظمة من تخشاه وكمال سلطانه، (الخوف أعمّ من الخَشية والخَشية أخصّ من الخوف فكلّ خَشية خوف لا العكس، الخوف لا تدري أهو قادر عليك أم لا، أمّا الخَشية فأنت تعلم أنّه قادر عليك).

استدلال المؤلف بهذه الآية دليل على أنّ الخَشية عبادة وذلك أنّ الله أمر بخَشيته فقال: ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾، وكلّ ما أمر الله به فهو عبادة ويحبّه ويرضاه، والأمر بالشيء بعد النهي عن ضدّه يُفيد الاختصاص، فالله ﷻ أمر بخَشيته بعد أن نهانا عن خَشيتهم، فالخَشية من الأفعال المختصة بالله، وأقسام الخشية كأقسام الخوف.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾". الإنابة:** هي الرجوع إلى الله تعالى بفعل الطاعة وترك المعصية، وهي قريبة من معنى التوبة إلّا أنّ الإنابة فيها معنى التوبة وزيادة، فهي بمعنى التوبة التي هي: الرجوع، وتزيد عليها بمعنى آخر وهو: الإقبال على فعل الخيرات والمسارعة فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أمرٌ من الله بالإنابة، وهذا يُفيد أنّ الإنابة عبادة، وفي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ دليل على أنّ الإنابة لا تكون إلّا لله ﷻ، وفي الآية دليل عام وخاص أنّه لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ، ﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ أي: استسلموا لأحكام الله الشرعية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وفي الحديث: "إذا استعنت فاستعن بالله"". **الاستعانة:** هي طلب العون، (إذا دخلت **است** على الكلمة أفادت الطلب في الكثير الغالب)، قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، أصل الكلام: **"نعبدك ونستعين بك"**، لكن تقديمَ ما حقُّه التأخير وتأخيرُ ما حقُّه التقديم يفيد الحصر، فلا نعبد أحداً سواك ولا نستعين إلّا بك، وفي الحديث: **"إذا استعنت فاستعن بالله"**، وفيه أمرٌ بالاستعانة بالله وهذا يدلّ على أنّ الاستعانة عبادة، وهي قسمين:

- الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهذه جائزة بشرط: أن يكون **حيّاً حاضراً قادراً**.
- الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله ﷻ، شرك أكبر، كالاستعانة بالمخلوق في إنزال المطر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾"**.

الاستعاذة: طلب العوذ (أي: الحماية من المكروه)، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أمرٌ من الله لنبيه وأمته تبعٌ له بطلب العوذ من الله وفيه دليل على أنّ الاستعاذة عبادة، **والفلق:** قيل هو الصّبح، وقيل: هو الخَلق، وعلى التفسيرين فإنّ ربّ الفلق هو الله ﷻ، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾: شرّ جميع المخلوقات، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: الغاسق ظلام الليل، إذا وقب: إذا أقبل، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾: من شرّ السواحر، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾: الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن الغير، واستدل الشيخ بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: أمرٌ من الله ﷻ بالاستعاذة به، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾: هذه كلُّها أسماءٌ وصفاتٌ لله تعالى، وفيها إشارة إلى أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: الوسواس والخناس هو الشيطان، فإنّ الشيطان إذا غَفَلت عن ذكر الله وسوس، وإذا ذكرت الله ﷻ خنس، أي: تأخر وابتعد، والاستعاذة قسمان:

- الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهي جائزة بشرط أن يكون: **حيّاً حاضراً قادراً**.
- الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله وهذه صرفها لغير الله شرك أكبر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾"**. الاستغاثة: طلب الغوث (وهو: الإنقاذ من الشدّة والهلاك)، وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، الله ﷻ ذكّر المسلمين بوقت استغاثتهم بالله وطلبهم إزالة ما نزل بهم من شدّة في غزوة بدرٍ فاستجاب لهم وكشف عنهم الضّر ونصرهم، ووجه الاستدل بهذه الآية على أنّ الاستغاثة عبادة أنّ الله ﷻ رتّب الاستجابة على الاستغاثة، والله ﷻ لا يستجيب إلّا لعمل يُحبّه ويرضاه، وهي قسمان:

- الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهذه جائزة بشرط: أن يكون **حيّاً حاضراً قادراً**.
- الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله ﷻ، وهذه صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر.

الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة تدخل في معنى: دعاء مسألة، فهو يشملها ويزيد عليها، فالدعاء أعمّ وهذه أفرادٌ خاصةٌ تحت معنى الدعاء، لذلك ترى أنّ أقسامها نفس أقسام دعاء المسألة الذي هو الطلب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ودليل الذبح قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾، **ومن السنّة: "لعن الله من ذبح لغير الله""**. **الذبح:** هو إراقة الدم، وهو من العبادات الظاهرة، وأمّا الشاهد من الآية فهو قوله تعالى: ﴿وَنُسُكِي﴾، النسك هو: الذبح، فكما أنّ صلاتُك لله ربّ العالمين فكذلك ذبحُك يكون لله وحده لا شريك له في ذلك، ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾: أي: أمرت بإخلاص هذه العبادات لله ﷻ، وأمّا الحديث: فمعنى: **لعن الله**، اللعن من الله هو الطرد من رحمته ﷻ، لأنّه أشرك بالله حين ذَبح لغير الله ﷻ، ويُفهم من الآية ومن الحديث أنّ الذي يقصد بذبحه الله ﷻ وحده فهذا يكون ممدوحاً عند الله تعالى ومحبوباً، وعليه فإنّ الذبح عبادة، **والذبح إمّا أن يكون:**

ذبح عادة: هذا لا أجر ولا وزر فيه، كشاة اللحم والتجارة والولائم، فهو ليس بعبادة مالم تدخله نية، فإذا أراد به عفاف أولاده وأهله والنفقة عليهم أُجر، وإن أراد بهذا الذبح الفخر والخيلاء أثم.

ذبح عبادة: ويكون **شرعياً:** منه ماهو: **واجب:** كالهدي، ومنه ماهو: **مستحب:** كالأضحية على الرّاجح، وقد يكون **شركياً:** وهو الذبح لغير الله بقصد تعظيم المذبوح له والتقرب إليه والتذلل إليه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ودليل النّذر قوله تعالى:** ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾". **النذر:** إلزام الإنسان نفسَه بشيءٍ لم يلزمه بأصلّ الشرع، والنذر إمّا أن يكون شرعياً وإمّا أن يكون شركياً.

الشرعي: ماكان لله ﷻ وقد يكون مطلقاً وقد يكون مقيداً.

- **المطلق:** الذي لم يُقيد بشيء، فيقول مثلاً: نذرت أو: لله عليّ أن أصوم يوماً في سبيل الله.
- **المقيد:** (المقابلة) قُيّد بشيء، لله عليّ إن شُفيت أن أصوم يوماً في سبيل الله. (قُيّد بالشفاء).

الشركي: ما كان لغير الله ﷻ، كمن نذر لصنم أو حجر وهذا نذر معصية وشرك، قال ﷺ: **"من نذر أن يُطيع الله فليُطعه ومن نذر أن يعصّه فلا يعصه".**

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾: يحمل النذر هنا على معنييه المطلق والمقيد، فالذين يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من العبادات التي لم تكن واجبة عليهم، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: يخافون يوم القيامة الذي كان شرّه ممتداً ظاهراً، هؤلاء امتدحهم الله ﷻ بوفائهم بنذرهم، وفي هذا دليل على أنّ الوفاء بالنذر أمرٌ محبوبٌ عند الله ﷻ وامتدح أهله، وفي هذا دليلٌ على أنّه عبادةٌ لا تكون إلّا لله ﷻ.

المجلس السابع

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **" الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة".**

الدين: يُراد به الطاعة، دان له أي: أطاعه، ويُراد به الحساب، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، هذا الدين الذي تَدين وتُطيع الله به يجب على طالب العلم أن يعرفه بأدلة الكتاب والسّنة، ويقال لها: (الأدلة السمعية) أو: (الأدلة النقلية)، ولا يُعرف الدِّين بالعقل والتقليد.

قال رَحِمَهُ اللهُ: **"وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله".**

الإسلام: في اللغة هو: الاستسلام والانقياد، يُقال: استسلم الجمل لصاحبه إذا انقاد له.

وفي الشرع: يُطلق في الكتاب والسّنة ويُراد به أحد أمرين:

إسلام كوني: وهو الاستسلام والخضوع لأمر الله الكوني، وهذا الإسلام ليس للمخلوق فيه اختيار، كالموت والمرض والفقر وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾.

إسلام شرعي: وهو الاستسلام لأمر الله الشرعي والخضوع له بفعل المأمورات وترك المنهيات وهو ينقسم إلى:

معنى عام: وهو ما عرفه به المؤلف رَحِمَهُ اللهُ حين قال: **الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله**، وهذا المعنى العام هو دينَ الأنبياءِ جميعاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾.

معنى خاص: وهو الإسلام الذي بُعث به محمدٌ ﷺ، وهو ناسخ للأديان قبله، وهو الذي يشمل المراتب الثلاث التي سيأتي ذكرها وهي: الإسلام والإيمان والإحسان.

وهو الاستسلام لله بالتوحيد: بأن يُوّحدَه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

والانقياد له بالطاعة: بأن تنقاد لله ﷻ بفعل المأمور وترك المحظور.

والبراءة من الشرك وأهله: بأن تعتقد بطلان الشرك فتبتَعِدَ عنه وتُبغِضَ أهله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: **"وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكلّ مرتبة لها أركان".**

هذا الدين (دين الإسلام) ثلاث مراتب، والمراتب جمع مرتبة: أي: درجات ومنازل بعضها أعلى من بعض، هذه المراتب الثلاث هي الدين كلّه، فمرتبة الإسلام أوسع المراتب، ثم مرتبة الإيمان وهي أضيق من دائرة الإسلام، ثم مرتبة الإحسان وهي أضيق المراتب، وهذه المراتب الثلاث كلّ مرتبة لها أركان، وركن الشيء هو جانبه الأقوى (وهو: ما يقوم عليه ولا يقوم بدونه)، فلا يقوم البيت دون أركان، فهذه المراتب لا تقوم بدون هذه الأركان.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ بيت الله الحرام".** لحديث عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما المتفق على صحته قال: قال رسول الله ﷺ: **"بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ بيت الله الحرام"**، وورد ذكرها في حديث جبريل المشهور.

هذه الأركان الخمسة هي أساسات الإسلام وأركانه التي يقوم عليها وإلّا فإنّ هناك أمورٌ أخرى من الإسلام لكنّها ليست بهذه المنزلة فهي مكملات لهذه الأركان.

أول أركان الإسلام مكون من شقين: شهادةُ أن لا إله إلّا الله وشهادة أنّ محمداً رسول الله، وجعلتا ركناً واحداً، لأنّهما متلازمان، فلا يمكن أن نُوّحد الله دون اتباعٍ للنبي ﷺ، ولا يُمكن اتباع النبي ﷺ دون تحقيق التوحيد، ولأنّ العبادة لا تُقبل إلّا باجتماعهما معاً وتحققهما جميعاً، وفي هذا إشارة إلى شرطي قبول العبادة:

- فشهادة أن لا إله إلّا الله تضمنت ركن الإخلاص.
- وشهادة أنّ محمداً رسول الله تضمنت ركن المتابعة للنبي ﷺ.

هذا الركن أعظم الأركان وأصل الدين وبهما يدخل المرء الإسلام وإذا عُدم هذا الركن عدم الدين كلّه، والشهادة هي الإخبار عما في قلبك يقيناً، ومعنى الشهادة: أنطق بلساني عمّا يكنه قلبي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾".** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: حكم وقضى وأعلم وألزم وبين، (كلّها بمعنى واحد)، ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾: نافياً العبادة عمّا سوى الله ﷻ، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: مثبتاً العبادة لله وحده، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وفيها بيان فضل العلماء إذ أشهدهم الله على وحدانيته ﷻ، ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: قائماً على شؤون خلقه بالعدل، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: بُدأت بالتوحيد وخُتمت بالتوحيد، والعزيز من أسماء الله تعالى يتضمن صفة العزّة، والحكيم من أسماء الله تعالى فهو ﷻ ذو الحكمة الذي يُحكم الأشياء ويُتقنها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلّا الله وحده".** معنى لا إله إلّا الله: لا معبود بحقٍّ إلّا الله.

ومعنى شهادة أن لا إله إلّا الله: هي أن يعترف الإنسان بلسانه عمّا يُكنه قلبه بأنّه لا معبود بحقٍّ إلّا الله.

الإله هو: المعبود، لأنّ الإله من: أله يأله إلهة، أي: عَبدَ يَعبدُ عِبادةً.

والله ﷻ يقول: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾، وهي موافقه لكلمة التوحيد: **لا إله إلّا الله**، فلذلك فسّرنا الإله بالمعبود، فهو موافق لما جاء في القرآن وهو موافق للغة العرب كذلك، فالتأله معناه التعبد ولا إله، أي: لا معبود.

ولا نفسر **لا إله إلّا الله** بتوحيد الربوبية ونقول: لا ربّ إلّا الله، ولا خالق ولا رازق إلّا الله، ولو كانت كذلك لما امتنع كفار قريش من قولها، لأنّهم كانوا إذا سُئلوا؟ من خلقهم ومن يرزقهم، فإنّهم يقولون: الله، هم يعترفون بكلّ هذا لكنّ مشكلتهم في توحيد الألوهية، لذلك علِموا معناها فامتنعوا من قولها، فهم يعلمون أنّ قولهم لهذه الكلمة معناه الكفر بكلّ إله من غير الله ﷻ، لذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾.

ولا نقول في تفسيرها: لا معبود إلّا الله، فإنّ هذا غلطٌ كبير، لأنّه تكون حينئذ هذه المعبودات كلّها هي الله، فأنّ هناك معبودات عُبدت من دون الله وسمّاها الله آلهة، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾، فهي آلهة عُبدت لكن عُبدت بباطل ولم تُعبد بحقّ.

فلماذا قال الشيخ رحمه الله أنّ معناها لا معبود بحقٍّ إلّا الله؟ ولماذا أضاف كلمة **بحق** لمعناها؟

أنت إذا قلت أنّ معناها: لا معبود بحقٍّ إلّا الله حينها انتفت هذه المعبودات كلّها إلّا الله ﷻ.

لا إله إلّا الله، لا: هذه نافية للجنس تعمل عمل إنَّ، نصبت الاسم الذي هو إله، وقلنا أنّ معنى إله: معبود، ولا هذه النافية ترفع الخبر، والخبر محذوف وتقديره: **حقٌّ**، وقدّرنا الخبر: **حقٌّ**، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾، ولو قدرنا الخبر كما فعل البعض بموجود يكون المعنى: لا إلهَ موجودٌ إلّا الله، وهو نفس ما سبق بأنّه لا يصحّ تفسيرها بلا معبود إلّا الله، فإنّ هذا يُخالف الواقع، فإنّ المعبودات وُجدت وعُبدت لكن بغير حقّ.

إلّا في قوله لا إله إلّا الله: إلّا: أداة استثناء، **إلّا الله:** مثبتاً العبادة لله وحده دون سواه، **فلا إله إلّا الله**، أي: لا معبود بحقٍّ إلّا الله، فكلّ ما يُعبد من دون الله عبادته باطلة والمستحق للعبادة على الحقيقة هو الله.

فالخلاصة أنّ معنى لا إله إلّا الله هو: **لا معبود بحقٍّ إلّا الله**، أو: **لا معبود حقٌّ إلّا الله**.

قال رحمه الله: **"لا إله: نافياً جميع ما يُعبد من دون الله، إلّا الله: مُثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنّه لا شريك له في ملكه"**. نستفيد من كلام الشيخ رحمه الله **أركان لا إله إلا الله:** وهما النفي والإثبات.

لا إله: نفيٌ للعبادة عمّا سوى الله، **إلّا الله:** إثباتُ العبادة لله وحده دون سواه، ولا يكفي أحدهما عن الآخر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾، ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾: وهذا النفيّ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: هذا الإثبات، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: هذا النفي، ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: هذا الإثبات، وفي قول المؤلف: **لا شريك له في عبادته كما أنّه لا شريك له في ملكه.** إلزام للناس بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية.

قال رحمه الله: "وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾". هذه الآية تُفسّر لنا معنى كلمة التوحيد **لا إله إلّا الله**، ففيها النفي والإثبات كما تقدم، ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: موافقة للا إله وفيها النفي، وهو الكفر بما يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: إلّا الله، وفيها إثبات العبادة لله وحده، وقوله: ﴿فَطَرَنِي﴾: أي: خلقني وأوجدني، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ولابد، فكما أنّه لا شريك له في الخلق فلا شريك له في العبادة، ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ أي: يدلني على الحق ويوفقني إليه، والهداية هدايتان:

- **هداية التوفيق:** هذه لله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.
- **هداية البيان:** هذه ثابتة للرّسل ولأتباعهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾: الكلمة الباقية هي كلمة التوحيد، **لا إله إلّا الله**، وهي مذكورة هنا في هذه الآية بمعناها المتضمن للنفي والإثبات، ﴿فِي عَقِبِهِ﴾ في ذريته ونسله، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يرجعون من الشرك إلى التوحيد.

قال رحمه الله: "وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾". ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى، ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: وهي كلمة التوحيد، وهي في قوله عز وجل: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾: فاشتملت على النفي والإثبات، النفي في قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾، الإثبات في قوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾، قوله:﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾: شيئا نكرة في سياق النفي فهي تعمّ كلّ الشرك، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: لا يُعظّم بعضُنا بعضاً كتعظيم الله، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فإن أعرضوا، ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: قولوا لهم وأخبروهم أنّكم مُوّحدون مؤمنون بهذه الكلمة وتبرؤوا منهم.

شروط لا إله إلّا الله: هي باختصار سبعة، نظمها الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في سلم الوصول:

العلم واليقين والقبول * والانقياد فادرِ ما أقول**

والصدق والإخلاص والمحبّة * وفقك الله لما أحبّه**

العلم المنافي للجهل، و**اليقين** المنافي للشّك، و**القبول** المنافي للرّد، و**الانقياد** المنافي للترك، و**الصدق** المنافي للكذب، و**الإخلاص** المنافي للشرك، و**المحبّة** المنافية للبغض، وزاد بعضهم شرطاً ثامناً وهو: الكفر بما يُعبد من دون الله، وجمعت في قول الناظم:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقكَ مَعْ * محبّةٍ وانقيادٍ والقبولُ لها**

وزيدَ ثامنها الكفرانُ منكَ بِمَا * سوى الإلهِ من الأشياء قد أُلها**

قال رحمه الله: **"ودليل شهادةِ أنّ محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾"**. أي: والدليل على أنّ شهادة أنّ محمداً رسول الله ركنٌ من أركان الإسلام الآية المستدل بها، ﴿لَقَدۡ﴾: اللام في لقد لام قسم، فيها قسمٌ مقدرٌ، تقديره: والله لقد جاءكم، قد: حرف تأكيد بعد تأكيد، فاجتمعت ثلاث مؤكدات: القسم واللام وقد، ﴿جَآءَكُمۡ﴾: خطاب عامٌ للجميع، وقد يُحمل المُخاطب على العرَب دون غيرهم، ﴿رَسُولٞ﴾: الرسول من أُوحي إليه بشرعٍ وأُمر بتبليغه، ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾: أي: من جنسِ البشر، فهو منكُم ومثلُكم، تعرفون نسبه وبلده وقبيلته وأخلاقه، ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾: يشقّ عليه ما يشقّ عليكم، ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾: حريص على هدايتكم ونصحكم وإنقاذكم من النّار، ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾: أمّا مع الكفّار فهو غليظٌ شديدٌ عليهم.

قال رحمه الله: **"ومعنى شهادة أنّ محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وأن لا يُعبد اللهُ إلّا بما شرع"**. معنى شهادة أنّ محمداً رسول الله: الإخبار عمّا تعتقده في قلبك أنّ محمداً ابنُ عبد الله بنِ عبد المطلب القرشي الهاشمي مرسلٌ من عند الله تعالى إلى الثقلين، فهو عبدٌ لا يُعبد ورسولٌ لا يُكذّب، أوحى الله إليه بشرعٍ وأمره بتبليغه وأنزل عليه الكتاب والحكمة، ويلزم من هذه الشهادة أمور ذكرها الشيخ رحمه الله وهي: **طاعته فيما أمر**: قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، **وتصديقه فيما أخبر**: قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾، **واجتناب ما نهى عنه وزجر**: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾، وقال رسول الله ﷺ: **"إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم"**. **وأن لا يُعبد الله إلّا بما شرع**: فلا يُعبد الله عز وجل بالبدع والمحدثات وبالأهواء والضلالات، قال ﷺ: **"من عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"**.

قال رحمه الله: **"ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾"**. الله سبحانه وتعالى أمرنا بعبادته وأمرنا بعبادته وحده مخلصين له الدين، فيجب أن تكون هذه العبادة صافية ونقية من الشرك، ﴿حُنَفَآءَ﴾: مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وهذا هو تفسير التوحيد الذي عناه المؤلف رحمه الله، ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾: وكذلك الصلاة والزكاة يجب أن تكون لله خالصةً، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾: دين الملّة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها.

قال رحمه الله: **"ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾"**. ﴿كُتِبَ﴾: فُرض، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقون عذابي وتفوزون بثوابي.

قال رحمه الله: **"ودليل الحجّ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾"**. هذا الركن مُقيد بالاستطاعة، وهو واجب مرّةً في العمر.

المجلس الثامن

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"المرتبة الثانية: الإيمان".**

الإيمان: **لغة:** هو التصديق والإقرار، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾، أي: وما أنت بمصدقٍ لنا ولو كنا صادقين.

شرعاً: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

أو: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بمعصية الرحمن.

الإسلام والإيمان من الألفاظ المشتركة التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت.

- إذا افترقا في الذكر وذُكر أحدهما دون الآخر، صارا بمعنى واحد (الأعمال الظاهرة والباطنة).
- أمّا إذا اجتمعا في الذكر صار: الإيمان: هو الأعمال الباطنة، الإسلام: هو الأعمال الظاهرة.

الإيمان لا بد فيه من ثلاثة أمور: القول/الاعتقاد/العمل، ولا يغني أحدُ هذه الأركان عن الآخر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وهو بِضعٌ وسبعون شعبةً".**

البِضع: من ثلاثة إلى تسعة / والشعبة: هي القطعة من الشيء.

في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إشارة الى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ **"الايمان بضع وسبعون شعبة"**، وفي رواية البخاري: **"الإيمان بضع وستون شعبة. فأعلاها قول: لا إله إلّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان".**

"فأعلاها قول: لا إله إلّا الله"، أعلى هذه الشعب وأعظمها وهو الركن الأساس، شهادةُ أن لا إله إلّا الله.

"وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"، أدناها أي: أقلها، إماطة أي: إزالة، الأذى: هو كلّ ما يُؤذي الناس.

"والحياء شعبةٌ من الإيمان"، الحياء: صفة انفعالية تحدث عند الخجل، ومنه محمود ومذموم.

- **المحمود:** هو الذي يدفعك للتحلي بالأخلاق الحسنة.
- **المذموم:** هو الذي يمنعك من فعل الطاعة أو السكوت عن المعصية.

وهذا الحديث من أقوى الأدلة على أنّ الإيمان: قول واعتقاد وعمل، لأنّه شمل:

- **الأعمال القلبية:** الحياء، وهذا عمل القلب.
- **الأعمال القولية:** قول لا إله إلّا الله، وهذا قول اللسان.
- **الأعمال الفعلية:** إماطة الأذى عن الطريق، وهذا عمل الجوارح والأركان.

قال رحمه الله: **"وأركانه ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه".**

أركان الإيمان هي: أساساته ودعائمه التي يقوم عليها ولا يقوم بدونها، دليل هذه الاركان حديث جبريل المشهور.

١- **الإيمان بالله:** هذا أعظم الأركان وهو أصل الاصول، ويشمل أربعة أمور:

١- الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، وقد دلّ على ذلك: الفطرة والعقل والشرع والحسّ.

٢- الإيمان بربوبيته: وأنّه هو الخالق والرازق والمدبر لشؤون عباده دون غيره.

٣- الإيمان بألوهيته: وأنّه المعبود بحقّ وما عُبد من دونه هو الباطل.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته: وذلك بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه أو في سنّة نبيه محمدٍ ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٢- **الإيمان بملائكته:** الملائكة جمع مَلَك، مأخوذ من الألوكة وهي الرسالة.

وهم مخلوقات خلقها الله من نور، وهم عالم غيبي، جُبلوا على الطاعة فليس لهم سبيل إلى المعصية، قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، نؤمن بهم إجمالاً، ومن سُمي منهم في الكتاب والسّنة نؤمن بهم على التفصيل، وعددهم كثير لا يُحصيه إلّا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وقد ثبت في حديث الإسراء والمعراج أنّ البيت المعمور الذي في السماء السابعة يُصلي فيه كلّ يومٍ سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه.

ونؤمن بأنّ للملائكة أعمالاً يقومون بها، فجبريل عليه السلام مُوّكل بالوحي، وميكائيل بالقطر والنبات، وإسرافيل مُوّكل بالنفخ في الصور، ومَلَك الموت وأعوانه بقبض الأرواح، ومالكٌ خازن النّار، ورضوان خازن الجنّة، والملائكة التي تحصي أعمال بني آدم، ومنهم من هو مُوّكل بحفظ بني آدم، ومنهم ملائكة مُوّكلة بسؤال الناس في قبورهم، والسؤال في القبور عن هذه الثلاثة الأصول، عن الرّب وعن الدين وعن الرّسول، ومنهم السيّاحون في الأرض يتتبعون مجالس العلم، ومنهم ومنهم.

ومن أنكر وجود الملائكة وجحد وجودهم كفر لأنّه لم يؤمن بالغيب الذي جاء في القرآن والسنّة.

٣- **الإيمان بكتبه:**

وهي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، مع كلّ رسولٍ كتابٌ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾، فنؤمن بأنّ الله تكلم بها حقيقةً وأنزلها على رسله وحياً، نؤمن بما علمنا منها باسمه كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، ومالم نعلم اسمه آمنا به على وجه الإجمال، ونؤمن أنّ القرآن ناسخ لهذه الكتب جميعاً ومهيمن عليها، وأنّه يجب علينا العمل بما فيه.

٤- **الإيمان برسله:** الرسل جمع رسول، والرسول من البشر، أوحى الله إليه بشريعة وأمره بتبليغها، وليس لهم من الربوبية والألوهية شيء، فهم عِبادٌ لا يُعبدون ورسلٌ لا يُكذّبون.

أول الرسل نوح عليه الصلاة السلام وآخرهم محمد ﷺ، والدليل على أنّ نوحاً أول الرُّسل قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، وكذلك ماورد في صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ في حديث الشفاعة أنّ النبي ﷺ ذكر أنّ الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: **"ائتوا نوحاً أولُ رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض"**، والدليل على أنّ محمداً ﷺ آخرهم قول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾.

نؤمن بهم على وجه الإجمال، ونؤمن بمن سُمي منهم على وجه التفصيل.

والرسول: هو من أوحي إليه بشرعٍ وأُمر بتبليغه، وأمّا النبي: فهو من أُرسل تحت شريعة رسولٍ قبله، فعلى هذا يكون: كلّ رسولٍ نبي، وليس كلّ نبيٍ رسول، وأفضل الرسل أولو العزم منهم وهم خمسة: **محمد** / **إبراهيم**/ **نوح**/ **موسى** / **عيسى** / عليهم الصلاة والسلام.

٥- **الإيمان باليوم الآخر:**

سُمي باليوم الآخر لأنّه آخر الأيام لا يومَ بعده وهو يوم القيامة، ويتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور هي:

- **الإيمان بالبعث:** أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾، وفي الحديث: **"يُحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً"**.
- **الإيمان بالحساب والجزاء:** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾.
- **الإيمان بالجنّة والنّار:** وأنّهما الآن موجودتان وأنّهما لا تفنيان، الجنّة دار المتقين، وأمّا النّار فهي دار المجرمين الفجّار.

ويلحقُ الإيمانُ باليوم الآخر الإيمانُ بكلّ ما يكون بعد الموت، ومن ذلك: سؤالُ الملكين العبدَ عن هذه الأصول، فيسألانه: عن الرّب وعن الدين وعن الرّسول، والإيمانُ بعذاب القبر ونعيمه، وهو ثابت بالكتاب والسنّة، وكذلك الإيمانُ بكلّ ما صحّ من أخبارٍ جملةً وتفصيلاً، كالإيمان بدنوِّ الشمس على رؤوس العباد وتطاير الصّحف فآخذ كتابه باليمين وآخذ كتابه بالشمال من وراء الظهر، وكذلك وزن الأعمال، والصراط، والقنطرة، إلى دخول الجنّة أو دخول النّار، جعلنا الله من أهل الجنةً وأعاذنا من النّار.

٦- **الإيمان بالقدر خيره وشرّه:** القَدر في اللغة: قدّرت الشيء أُقدّره (إذا أحطت بمقداره)، وأمّا في الشرع: فهو ما قدّره الله في الأزل أن يكون في خلقه بناءً على علمه المسبق.

فتؤمن بكلّ ما يجري في هذا الكون من خيرٍ وشرٍ، من كفرٍ وإيمانٍ، من نعمةٍ ونقمةٍ، من رخاءٍ وشدّةٍ، من مرضٍ وصحةٍ، من حياةٍ وموتٍ، كلّ ذلك قضاء الله وقدره، ولم يكن ليحدث صدفة.

الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربعة أمور وهي التي تُسمى بمراتب القدر.

- **العلم:** أن تؤمن بأنّ الله ﷻ علِم الأشياء قبل كونها، وأنّه بكلّ شيء عليم.
- **الكتابة:** أنّ تؤمن بأنّ الله كتب مقادير كلِّ شيءٍ قبل أن يخلُق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾، وفي الآية دليل على مرتبة العلم ومرتبة الخلق، وقال ﷺ: **"أولُ ما خلق الله القلم، قال: اكتب؟ قال: وما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة"**.
- **المشيئة:** بأن تؤمن أنّ ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، ولا شيء يخرج عن مشيئته ولا يقع شيء دون مشيئته وإرادته ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.
- **الخلق:** أن تؤمن أنّ الله خلق كلّ شيء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

يجب الإيمان بجميع المراتب ومن جحد واحدة منها لم يكن مؤمنا بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر لم يكن مؤمناً، هذه المراتب جُمعت في بيت واحد يُسهِّل حفظها:

<u>علم</u> <u>كتابة</u> مولانا <u>مشيئته</u> * <u>وخلقه</u> وهو إيجاد وتكوين.**

قال رحمه الله: **"والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾"**.

أي: والدليل على أنّ هذه الاركانُ أركانٌ للايمان آية البقرة.

البرّ: هو كلّ عملِ خيرٍ يُقرّب صاحبه إلى الله ويوصله إلى الجنّة، وفي الآية ذكر خمساً من أركان الإيمان وهي: الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

قال رحمه الله: **"ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾"**، هذا دليل القدر، أي: أنّ كلّ شيء خلقه الله فإنّه مُقدّرٌ في علمه وكتابته ومشيئته وإرادته ﷻ، ولم يكن ليحدث صدفة أو عفوياً.

المجلس التاسع

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"المرتبة الثالثة: الإحسان".**

الإحسان في اللغة: مأخوذ من إتقان الشيء وإتمامِه، وهو: ضدُ القبح والإساءة.

والإحسان مع الإنسان: قال فيه الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: هو **"بذل الندى وكفّ الأذى وطلاقة الوجه"**، بذل الندى: إيصال الخير لهم بجميع أنواعه، وكفّ الأذى: أن تكفّ أذاك عن الخلق فلا تؤذي أحداً، وطلاقة الوجه: بأن تكون مبتسماً بشوشاً في وجوه إخوتك.

أمّا الإحسان مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو المقصود، فهو أن تأتي بالعبادة على وجهها الصحيح المتقَن، والذي يجمع بين كمال الإخلاص لله وحده لا شريك له وكمال المتابعة للنبي ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"الإحسان ركنٌ واحد وهو أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك".**

الإحسان كما سبق وقررنا أنّه أعلى مراتبِ الدين وأضيق الدوائر، فكلُّ محسنٍ مؤمنٌ ومسلمٌ لا العكس، والإحسان أعمّ من حيث المعنى ففيه معنى الإسلام والإيمان وزيادة، ولكن من حيث أهله هو أخصّ، فالمحسنون الذين يصلون إلى هذه الدرجة هم نخبة من المؤمنين وليس جميعَ المؤمنين.

وهو ركن واحد، وتندرج تحته مرتبتين وهما:

- **مرتبة المشاهدة:** كأنّك تراه، هذه هي المرتبة العليا، وما حصل له ذلك إلّا لكمال إخلاصه و كمال متابعته للنبي ﷺ.
- **مرتبة المراقبة:** فإنّه يراك، وهذه المرتبة دون الأولى فصاحبها يكون مراقباً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعلم أنّه يراه فيخافُ أن يطلع عليه في غير مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾**".**

هذا دليلُ المرتبةِ الأولى، مرتبة المشاهدة، وعدهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنّه معهم معيّة خاصة: وهي معيةُ النصرة والتأييد والتوفيق، والمعيّة معيتان عامة وخاصة.

العامة: هذه تشمل الخلق أجمعين، المؤمنَ والكافرَ، البرَّ والفاجرَ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معهم بعلمه، فهو عليمٌ بأحوالهم، محيطٌ بهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

الخاصة: هذه خاصة بعباد الله المؤمنين، من أدلتها الآية التي استدل بها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وكذلك ما قاله النبي ﷺ لأبي بكرٍ وهما في الغار، كما قال تعالى ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، وكذلك قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع عباده المتقين المحسنين بنصره وتأييده وتوفيقه وتسديده.

قال: "**وقوله تعالى:** ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾".

﴿وَتَوَكَّلۡ﴾: أي: فوّض أمورك، ﴿عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: وهو الله ﷻ، ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: فهو يراك ﷻ حين تقوم للعبادة وللصلاة، وهذا محلّ الشاهد من الآية، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: وهو ﷻ يراك وأنت راكع وساجد، وهو الذي يراك في جميع أحوالك، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: السميعُ لأقوالِ عباده العليمُ بأفعالهم ﷻ.

وهذه الآية دليل للمرتبة الثانية من مراتب الإحسان، مرتبة المراقبة وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ﴾.

"**وقوله تعالى:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾".

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، فما من عملٍ أنت فيه من أعمال دينك ودنياك، ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ﴾: أي: ومن العمل الذي تكون فيه تلاوة القرآن، ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ﴾: هذا الخطاب الآن للرسول ﷺ ولأمته جميعاً، فأيُّ عملٍ تعملونه من أعمال الخير أو من أعمال الشّر، ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾: أي: نراكم ونشاهدكم، ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾: وذلك حين تعملون هذا العمل.

وفي هذه الآية دليلٌ على المرتبة الثانية كذلك، فهو يرانا ويشاهدنا في أيّ عملٍ نعمله.

قال رحمه الله: "**والدليلُ مِنَ السُّنَّة حديثُ جبريل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ الله ﷺ ذات يومٍ، إذا طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند رُكبَتَيْه إلى رُكبَتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: «يا مُحَمَّدُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام» فقال رسولُ الله ﷺ: « الإِسْلامُ أن تَشْهَدَ أَن لا إِلَهَ إلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَدَا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»، قال: «صَدَقْتَ». فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه ! قال: «فأخبرني عن الإيمان ؟»، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرْ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: «صدقت». قال: «فأخبرني عن الإحسان؟»، قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعة؟» قال: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا ؟» قال: «أَنْ تَلِدَ الأمة رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ »، ثُمّ انْطَلَق فَلَبِثْتُ مَلِياً، ثم قال: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلَم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ».**

دليل مراتب الدين والتي هي: الإسلامُ والإيمان والإحسان، وأركانَ كلِّ مرتبةٍ منها من السنّة الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هذا الحديث يُعرف بحديث جبريل عليه السلام، هذا الحديث العظيم اعتنى به العلماء عناية خاصة وشرحوه، نقتصر على استنباط بعض الفوائد منه، ومنها:

- حرص الصحابة ﷺ على الجلوس إلى النبي ﷺ لأخذ العلم: **"بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ"**.
- تَمثُّل جبريل عليه السلام في صورة رجلٍ وكان كثيراً ما يتمثل في صورة الصحابي دِحْيَة الكلبي رضي الله عنه.
- في قول عمر رضي الله عنه: **"لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرّفه منّا أحدٌ"** استغراب من عمر رضي الله عنه، فهو ليس من أهل المدينة فيُعرف، ولا يظهر عليه علامات السفر، فهو شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، والمسافر في ذلك الوقت يقتضي أن تتسخ ثيابه ويغبّر شعره.
- في جلسة جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ أدب الطالب مع معلمه فقد اقترب منه جداً.
- في قول جبريل عليه السلام: **يا محمد**، زيادة تعميةٍ، لأنّ الأعراب كانوا إذا جاؤوا إلى النبي ﷺ ينادونه بيامحمد، وإلّا فالصحابة رضي الله عنهم كانوا ينادونه بيا رسولَ الله.
- في جواب النبي ﷺ له عن الإسلام وذِكر أركانه فقط تعليم للمعلم أن يقتصر على المفيد والضروري، لأنّ الجواب كلّما كان مختصراً كان أسهلَ على المستمع والمتعلم، ويسهُل حفظه ووعيه.
- في قول جبريل عليه السلام: **صدقت**، غريبة أخرى، فكيف للسائل أن يُصدق المسؤول، فإنّ أمر السائل يقتضي جهله، لذلك قال عمر رضي الله عنه: **"فعجبنا له يسأله ويصدقه"**.
- وفي سؤال جبريلُ عليه السلام النبيَ ﷺ عن الساعة، وقوله ﷺ: **"ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"**، تعليمٌ لنا، فإذا كنت لا تعلم فقل: الله أعلم، وأمرُ الساعة لا يعلمه النبي ﷺ وهو أفضل البشر ولا يعلمه جبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة، فما دونهما من بابٍ أولى.
- في قول جبريل عليه السلام: **"فأخبرني عن أماراتها"**، أي: علاماتها التي تدلّ على قُرب قيامها، ومنها علامات كبرى ومنها علامات صغرى، والنبي ﷺ ذكر له علامتين من العلامات الصغرى.

<u>العلامة الأولى:</u> أن تلد الأمة ربتها، قيل: يكثر التسري، بأن يتزوج الرّجلُ الأمةَ فتلد له فتكون ابنتُها حرّةً وتكون مالكة لأمّها، وقيل: كناية على كثرة العقوق فيصير الأولاد بمثابة الوالدين في معاملتهم لوالديهم.

<u>العلامة الثانية:</u> أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء وهؤلاء الأصل فيهم أنّهم أهل البادية الذين ينتقلون من مكان إلى آخر يسكنون المدن ويتطاولون في البنيان.

- في قول الصحابة لمّا سألهم النبي ﷺ : **"أتدرون من السائل: قالوا: الله ورسوله أعلم"**، أدب الطالب في قول: الله أعلم.
- في قوله ﷺ: **"يعلمكم دينكم"** جعلَ الإسلامَ والإيمان والإحسان هي الدّين كلُّه، فالدين ثلاث مراتب وكلّ مرتبة لها أركان.
- التعليم بطريقة السؤال والجواب وهي طريقة ناجحة وقد استعملها المؤلف رحمه الله في هذه الرسالة كما مرّ معنا في قوله: **"فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة؟"** وكقوله كذلك: "**فإذا قيل لك من ربك؟**".

المجلس العاشر

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ".**

لمّا كان النبي ﷺ واسطة بين الله ﷻ وبين عباده في تبليغ دينه وشرعه، ولاسبيل للإنسان أن يعرف الأصل الأول ولا سبيل له لمعرفة الأصل الثاني إلّا بالواسطة بينه وبين الله ﷻ، من أجل ذلك صار لزاماً على العبد معرفة جملةٍ من العلم تجاه نبيه محمدٍ ﷺ، فكيف تتبع شخصاً وتقلده وأنت لا تعلم عنه شيئاً، ومن جملة العلم الذي ينبغي معرفته تجاه النبي محمد ﷺ: معرفة اسمه ونسبه، ومعرفة سِنّه، ومكان ولادته ومهاجره، ومعرفة حياته النبوية وسير دعوته ﷺ، وما هو دليل نبوته وماهو دليل رسالته ﷺ، وبماذا أُرسل ولماذا أُرسل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وهو محمد بنُ عبد الله بنِ عبد المطلب بنِ هاشم، وهاشمٌ من قريشٍ، وقريشٌ من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بنِ إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام".**

اسمه محمد وهو أفضل أسمائه ﷺ وبه سمّاه أهله وجاء ذكره بهذا الاسم في القرآن.

و **محمد** معناه: الذي يُحمد أكثر مما يُحمد غيره، أو: هو الذي كثرت خصاله التي يُحمد عليها، وهو عَلَمٌ مشتقٌ من التحميد ولما فيه من الخصال الحميدة، وله أسماء أخرى كثيرة منها:

أحمد: معناه كثير المحامد، **الماحي:** فهو الذي يمحو الله به الشرك، **الحاشر:** الذي يُحشر الناس على إثره، **العاقب:** فهو خاتَم النبيين، فلا يعقبه نبي، ومن أسمائه: نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة (أي: الجهاد).

لُقب ﷺ بالأمين، وأمّا كنيته فهو: أبو القاسم.

فهو: **محمد بنُ عبدِ الله بنِ عبد المطلب بنِ هاشم بنِ عبد مناف بنِ قصي بنِ كلاب بنِ مرّة بنِ كعب بنِ لؤي بنِ غالب بنِ فِهر بنِ مالك بنِ النّضر بنِ كِنانة بنِ خُزيمة بنِ مُدركة بنِ إلياس بنِ مُضر بنِ نَزار بنِ مَعَد بنِ عدنان**، إلى هنا هذا النسب متفق عليه ولا خلاف فيه، وما فوق عدنان مختلف فيه، لكن لا خلاف أنّ عدنان من ولد إسماعيلَ ابنِ إبراهيمَ عليهما الصلاة والسلام، وإسماعيل هو الذبيح.

فأبوه: عبد الله، وجدّه الأول: عبد المطلب، وجدّه الثاني: هاشم، وجدّه الثالث: عبد مناف، عبد مناف هذا كان: له أربعة أولاد وهم:

- **هاشم:** وهو الجد الثاني للرسول ﷺ (ومنه الهاشميون).
- **المطلب:** ومنه المطلبيون.
- **عبد شمس:** ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه وبنو أمية.
- **نوفل:** ومنهم جبير بن مطعم وحكيم بن حزام رضي الله عنهما.

وعبدُ المطلب بن هاشم الذي قلنا بأنّه جدّه الأول اسمه: شيبة، أو: شيبة الحمد، وإنّما سُمي بعبدِ المطلب لأنّ عمّه المطلب بن عبدِ مناف جاء به من المدينة وهو صغيرٌ من عند أخواله بني النّجار، فلمّا رآه الناس أَسوداً من السفر ظنّوا أنّه عبدٌ مملوك للمطلب، فقالوا: عبد المطلب، فبقي هذا اسماً له.

هؤلاء من قريش، وقريش من أشرف قبائل العرب، والعرب أقسام:

- **عرب بائدة:** وهؤلاء الذين أهلكهم الله وهم: قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ وشعيبٍ.
- **عرب عاربة:** وهم القحطانية، من حِمْيَر من اليمن، وهم أصل العرب.
- **عرب مستعربة:** وهم العدنانية، من ذرية إسماعيلَ بنِ إبراهيم عليهما السلام، سمُّوا مستعربة لأنّهم تعلموا العربية من العرب العاربة، فإنّه لمّا جاءت جُرهم ونزلوا مكّة وجدوا ماء زمزم، فطلبوا من هاجر أن تسمح لهم بأن يستقوا الماء فأذنت لهم، وإسماعيل وقتها كان رضيعاً، فتربى ونشأ وأخذ العربية من جُرهم (الذين هم: العرب العاربة)، وتزوج منهم، وجاءه ذرية تعلموا العربية ونشؤوا مع العرب، فصاروا عرباً مستعربة (الذين يُقال لهم: العدنانية).

وإبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، وكذلك نبينا محمد ﷺ هو خليل الرحمن، والخلّة هي أعلى درجات المحبّة، ولم تثبت لغيرهما.

وإبراهيم عليه السلام له إسماعيل وهو جد العرب العدنانية وله إسحاق وهو جد بني إسرائيل، وجميع الأنبياء من ذرية إسحاقِ بنِ إبراهيم إلّا محمد ﷺ فهو من ذرية إسماعيلَ بنِ إبراهيم عليهم السلام.

فهو خلاصة الخلاصة، فهو أشرف وأفضل وأطهر نسبٍ على الإطلاق، وإنّما كان أشرفَها لأنّه يشترك مع كلّ قبائل العرب في النسب، وأفضلها لأنّ نسبه ﷺ حوى خير البشر، وأطهرها لأنّ نسبه ﷺ من نكاح لا من سفاح، وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: **"إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"**. فهو ﷺ خيار من خيار من خيار، فهو ﷺ اختاره الله تعالى من أفضل ولد إسماعيل وهم كنانة، ومن أفضل كنانة قريشاً، ومن أفضل قريش وهم بني هاشم، وهو ﷺ أفضل بني هاشم، وفي سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ: كيف نسبه فيكم؟ قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب، قال هرقل: فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها، أي: في أكرمها أحسابا.

ومن حِكم هذا النسب أنّ التفاخر بالأحساب والأنساب كان على أشدّه قبيل مبعث النبي ﷺ، فلو بُعث في نسبٍ وضيعٍ لكان هذا سبباً في ردّ دعوته من كثير من القبائل، فالله تعالى اختار النبي ﷺ في هذا النسب ليعين الناس على قبول دعوته ﷺ، فلا يُمكن من كان هذا نسبه وهذا جاهه ومكانته أن يَدّعي النّبوة ليبحث عن جاهٍ ومكانةٍ وشرفٍ، ومن الحِكم كذلك أنّ الله عز وجل أراد أن يرفع ذكر العرب، فإنّ النبوة انقطعت عن العرب مدّة طويلة ارتفع فيها بنو إسرائيل زمناً طويلاً حتى تكبروا وقالوا: لن تخرج النبوة عن بني إسرائيل.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاثٌ وعشرون نبياً رسولاً".**

ولد ﷺ في يوم إثنين في ربيع الأول عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة، ولم يثبت أنّه ولد يوم الثاني عشر من ربيع الأول، ولد ﷺ على مقربة من الكعبة، أبوه: عبد الله، مات وهو حمل في بطن أمهِ آمنةُ بنتُ وهبٍ القرشية، فنشأ ﷺ يتيماً، وأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب وحليمة السعدية، ثم توفيت أمّه وهو ابن ستِّ سنين، فكفَله جدّه عبد المطلب، ثم توفي فانتقلت كفالته إلى عمّه أبي طالب، تزوج ﷺ خديجة قبل البعثة بسنين، عاش أربعين سنة قبل النبوة معروفاً بالأمانة والصدق، وحُبب إليه الخلاء فكان يخرج إلى غار حراء ويتعبد الله فيه، ولمّا كان في سنّ الأربعين أُوحي إليه وصار نبياً رسولاً، ولمّا قام يدعو إلى ما أمره الله به ازداد أذى قريش له وهو صابر محتسب وعمه أبو طالب يحميه ويدافع عنه إِلَى أَنْ تُوفي عمه أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثلاث سنين، وماتت بعده بيسير خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فازداد أذى قُرَيْشٍ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ الْهِجْرَةَ إِلَى المدينة، عاش ﷺ ثلاثاً وعشرون سنةً نبياً رسولاً، منها ثلاثَ عشرةَ سنةً في مكة وعشرَ سنينَ في المدينة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"نُبئ بإقرأ، وأُرسل بالمدثر"**. نبئ بإقرأ وذلك عند أن جاءه جبريل وهو في غار حراء يتعبد فيه فقال له: اقْرَأْ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، قَالَ: "**فَأَخَذَنِي فَغطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي**، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: **مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي**، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: **مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي**، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، وبهذا صار ﷺ نبياً، ودَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ وقَالَ لها: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» أي: غطوني، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَأخبر خَدِيجَةَ بما حدث وقال: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، وانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ إِلى وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ (الملك) الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ، وفي رواية: «**ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»، قَالَ ﷺ: «**فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا** (أي: خائفاً)، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، «**ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ**»، وبهذا صار رسولاً.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وبلده مكة وهاجر إلى المدينة"**. وبها ولد ﷺ وعاش فيها أربعين سنة قبل النبوة وثلاث عشرة سنةً نبياً رسولاً، وهي أحبّ البقاع إلى الله، ثم هاجر إلى المدينة وله من العمر ثلاثاً وخمسين سنة، ومكث فيها عشر سنين حتى توفاه الله ﷺ وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، فدامت مدة رسالته ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة.

قال ﵀: "**بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد**". الإنذار في اللغة: إعلام مع التخويف.

وهذا مدلول لا إله إلّا الله، النفي ثم الإثبات، فالتوحيد لا يصحّ ولا يُقبل مع وجود المنافي الذي هو الشرك، وهذا الواجب على أتباع النبي ﷺ أن يركزوا على الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وقد بقي ﷺ على ذلك طيلة مُكثه في مكة ثلاث عشرة سنةً يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك.

قال ﵀: "**والدليل قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ ". ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾: النداء للنبي ﷺ، و: **المدثر:** أصلها المُتدثر، ومعناها: الملتحف بثيابه، المتغشي بها من شدّة الرّعب الذي حصل له من رؤية الملَك عند نزول الوحي، لأنّه لمّا أصابه ﷺ الفزع والخوف، قال "**دثروني دثروني**"، فأنزل الله عليه هذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾.

قال ﵀: "**ومعنى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد**". **قم:** قم من دثارك فأنذرهم وحذرهم بجدٍ واجتهادٍ بعزمٍ وتصميمٍ، من عذاب ربّك إن لم يُؤمنوا، وبهذا حصل الإرسال.

قال: "**﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ أي: عظمّه بالتوحيد**"، وذلك باعتقاد تفرده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وخصّ المصنف ﵀ تعظيم الله بالتوحيد لأنّه أعظمُ ما أمر الله به، والأمرُ للنبي ﷺ أمرٌ لأمته.

قال: "**﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أي: طهر أعمالك عن الشرك**"، فسّر السلف الثياب هنا بتفسيرين:

- **الثياب المعنوية:** طهّر أعمالك عن الشرك والبدع والمعاصي فهي قذارة ووساخة للقلوب والأرواح، (وهذا قول المؤلف وقول الجمهور)، خصّ المؤلف تطهير الأعمال من الشرك لأنّه أعظم ما نُهي عنه.
- **الثياب الحسية:** أمرَ الله نبيه أن يُطهر ثيابه من النجاسة.

قال: "**﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها**". يُطلق الصنم أحياناً على الوثن والوثن على الصنم، لكنّ الوثن أعمّ من الصنم، (الوثن: ما عُبد من دون الله ولو لم يكن على صورة)، (الصنم: ما عُبد من دون الله على صورة، كصورة إنسان أو حيوان وغيره)، ولا يلزم من أمرِ الله لنبيه ﷺ بترك الأصنام أنّه كان يعبدها، لكنّ النهي هنا للتحذير والتنفير.

قال: "**أخذ على هذا عشر سنين يدعوا إلى التوحيد**". لا يدعوا إلّا إلى التوحيد وينذر الناس عن الشرك، وهذا يدلّ على عِظم التوحيد لأنّه أصلُ الدين وأساسه وبه الفوز بالجنّة والنجاة من النّار، ولم يُؤمر بشيءٍ في هذه العشر، فكان ﷺ يقول لقومه: "**يا قوم قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا**"، ولمّا بَعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمن قال له: "**إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يُوحدوا الله**"، وفي رواية: "**أن يشهدوا أن لا إله إلّا الله**".

المجلس الحادي عشر

قال: **"وبعد العشر عُرج به إلى السماء وفُرضت عليه الصلوات الخمس"**، حدثت هذه المعجزة قبل الهجرة بثلاث سنين، والإسراء والمعراج ثابت في القرآن والسنة، وأسري به ﷺ يقظةً لا مناماً وبروحه وجسده ﷺ. الإسراء: هو السير ليلاً (وكان من مكة إلى بيت المقدس)، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾، وأمّا المعراج: هو الصعود (وكان من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى)، ومن معانيه كذلك: آلة الصعود، وهي: السلم أو المرقاة، فيكون معنى المعراج: الليلة التي صُعد بالنبي ﷺ فيها على المعراج.

عَرج به جبريلُ عليه السلام إلى السماء السابعة، ثم تجاوز إلى سدرة المنتهى، قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱﴾، وكلّمه ربّه دون واسطة، ولم يرّه على الصحيح، وفَرض عليه الصلاة خمسين صلاة كلّ يومٍ وليلة، فرضي وسلّم ﷺ ثم نزل، فلمّا مرّ بموسى عليه الصلاة والسلام، قال له: ما فرض ربّك على أمتك؟ قال: **خمسين صلاةً في كلّ يوم**، فقال موسى: إنّ أمتك لا تُطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف لأمتك، فما زال يُراجع حتى خُففت إلى خمسٍ، وهي خمسٌ في العدد وخمسون في الأجر، فضلا من الله ورحمة.

قال رحمه الله: **"وصلى في مكّة ثلاث سنين"**، صلى النبي ﷺ في مكّة ثلاث سنين قبل أن يُهاجر إلى المدينة.

قال رحمه الله: **"وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة"**، لمّا اشتد أذى قريش وزاد شرّهم بالصّد عن سبيل الله ومضايقة المسلمين وتعذيب من ليس له جماعة تحميه، كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل، فقبل دعوته ناس من الأنصار (أهل المدينة)، وفي موسم الحج الذي قبل الهجرة بأشهر بايع جماعة من الأنصار رسول الله ﷺ بيعة العقبة وفيها نصرته ﷺ إذا هو هاجر إليهم وقتالهم دونه، فبعد هذه البيعة أمر النبي ﷺ من كان في مكة من المسلمين أن يُهاجر إلى المدينة، وتأخر رسول ﷺ وبعضَ أصحابه إلى أن أذن الله له وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه، وخرجا فذهبا إلى غار ثور واختفيا فيه ثلاثة أيام، وقريشٌ تطلبه بأيّ وسيلة حياً أو ميتاً، وجعلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما ديتُه مائةً من الإبل، وكانوا يقفون على الغار ولو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرهم، ولكنّ الله كان معهما بحفظه ونصرته، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، قال أبو بكر رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا، فَقَالَ ﷺ: **"يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا"**، فلمّا يئست قريش من الحصول عليهم خرجا من الغار متجهين إلى المدينة، واستقبل أهل المدينة من المهاجرين والأنصار رسول الله ﷺ بالسلاح يُبدون استعدادهم للجهاد والدفاع عنه ﷺ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام"**. الهجرة: في اللغة: من الهجر وهو الترك، وفي الاصطلاح: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

قال: **"والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة"**. الهجرة فريضة أي: واجبة على أمّة محمد ﷺ من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

وبلد الشرك الذي يجب الهجرة منه هو: الذي تُقام فيه شعائر الكفر ولا تُقام فيه شعائر الإسلام من آذان وصلاة جمعة وجماعة على وجه عامٍ شاملٍ، لأنّ بعض بلاد الكفار فيها أقليات مسلمة ربمّا تقيم بعض الشعائر لكن على وجه محصور، فمثل هذه البلاد ليست بلاد إسلامٍ بما تقيمه هذه الأقليات من الشعائر.

وموطن الإنسان: هي البلاد التي يتمكن من إظهارِ دينِه فيها، فكلّ من لم يكن قادراً على إظهار دينه في وطن من الأوطان وكان قادراً على الهجرة إلى وطن يستطيع إظهار دينه فيه، فإنّ الهجرة في حقّه **واجبة**، ومن استطاع إظهار دينِه في بلد الشرك **أُستحب** له أن يُهاجر، وهذا قول الشافعي وغيره، وهي تنقسم إلى قسمين:

هجرة عامة: هذه التي ذكرها المؤلف وهي التي لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، وهذه تكون:

- **واجبة:** لمن لم يكن قادراً على إظهار دينه فيها وكان قادراً على الهجرة.
- **مستحبة:** لمن كان قادراً على إظهار دينه فيها.

هجرة خاصة: هي الهجرة من مكّةَ إلى المدينة، وهذه كانت واجبةً لمّا كانت مكّةُ دار شركٍ زمن النبي ﷺ، فتركها النبي ﷺ وأمر أصحابه بالهجرة منها، أمّا الآن فلا هجرة منها لأنّها صارت دار إسلامٍ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾"، وجه الدلالة من هذه الآية على وجوب الهجرة ظاهرٌ وذلك في التوعد بالنّار لمن تخلف عن الهجرة ولم يكن من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فإنّه ترك واجباً عظيماً، وهو مرتكبٌ لكبيرةٍ من كبائر الذنوب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وقوله تعالى:** ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾". في الآية أمرٌ بالهجرة في أرض الله الواسعة، وهذا دليل على وجوبها من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، فإذا لم تكن قادراً على إظهار دينك في أرض فانتقل منها واتركها إلى غيرها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يُهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان"**، تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر لكنّه عاصٍ بتركها، فهو مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، توعده الله بالنّار كما توّعد أهل الكبائر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والدليل على الهجرة من السنّة قوله ﷺ: "لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ، ولا تنقطعُ التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها"**. **لا تنقطعُ الهجرةُ:** أي: لا يسقط وجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام إلّا بانقطاع التوبة، وزمن انقطاع التوبة: هو طلوع الشمس من مغربها يوم القيامة، أو حضور الموت (الغرغرة)، فإذا حضر العبدَ الموتُ فإنّه لا تنفعه توبة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فلمّا استقر بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاةِ والصومِ والحجّ والآذانِ والجهادِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ وغير ذلك من شرائع الإسلام"**. **الصلاة:** فُرضت في مكّة ليلة المعراج قبل الهجرة بثلاث سنين، **الزكاة:** أصل الزكاة فُرضت في مكة، لكنّ تفصيل أحكامها فُرض في المدينة في العام الثاني من الهجرة، **الصيام:** فُرض في السّنة الثانية للهجرة، **الحج:** فُرض في السّنة التاسعة على الصحيح، وغيرُ ذلك من الشرائع كلُّها فرضت في المدينة، كالأذانِ وصلاةِ الجمعةِ والجماعةِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ والجهادِ وغيرِ ذلك، وهذا يدلّ على عِظم قدر التوحيد، فقد بَدأ به النبي ﷺ دعوته ودعى إليه وحدَه عشر سنين، واستمر يدعو إليه بقيةَ دعوتِه وحياتِه، وهذا منهج جميع الأنبياء والمرسلين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها تُوفي صلاة الله وسلامه عليه، ودينه باقٍ"**.

بقي ﷺ عشر سنين في المدينة والشريعة تتنزل بالتدريج حتى تكاملت، وأنزل اللهُ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، ثم بدأه المرض ﷺ في آخر صفرٍ وأولِ ربيع الأول، وأمر أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يُصلي بالناس، فلمّا كان اليوم **الثاني عشر** أو **الثالث عشر** من ربيع الأول من العام **الحادي عشر** توفي ﷺ، وكانت موته ﷺ أعظمُ المصائب على الإطلاق، ودينه ﷺ باقٍ إلى يوم القيامة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وهذا دينه لا خير إلّا دلّ الأمة عليه، ولا شرَّ إلّا حذرها منه"**. قال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائرٍ يُقلب جناحيه في الهواء إلّا ذكر لنا منه علماً"**. قيل لسلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: علمكم نبيكم كلّ شيء حتى الخراءة؟ قال: **"أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقلّ من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم"**. فالنبي ﷺ بيّن لنا كلّ شيء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والخير الذي دلّها عليه: التوحيد وجميع ما يُحبّه الله ويرضاه، والشّر الذي حذرها منه: الشرك وجميع ما يَكرهه الله ويأباه"**. أعظم الخير على الإطلاق التوحيد، وأعظم الشرّ الذي نهى عنه الشرك على الإطلاق وقد تقدم بيان ذلك، ويدلّ على هذا قوله ﷺ: **"إنّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلّا كان حقاً أن يدلّ أمته على خيرِ ما يعلمه لهم وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم"** رواه مسلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾.

قال رحمه الله: **"بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين: الجنّ والإنسِ، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾"**. طاعته ﷺ واجبةٌ، وهي طاعةٌ لله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وفي الآية التي استدلّ بها الشيخ رحمه الله دليلٌ على عموم شريعته ﷺ، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، ومن السنة قوله ﷺ: **"وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى النّاس كافة"**.

قال رحمه الله: **"وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾"**. فدين الله كامل، والكامل لا يقبل الزيادة، وكلُّ زيادة في الدين محدثة بدعة، قال ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ"**. وقال ﷺ: **"وكلّ محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النّار"**. قال ابن مسعود رضي الله عنه: **اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**، وهذا الدين صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكان، وهو شامل لمصالح العباد كلِّهم إلى يوم القيامة فلا حاجة إلى الزيادة فيه فإنّ هذا استدراك على الله سبحانه وتعالى، ودليل إكمال الله لنا الدين قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

قال: **"والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾"**. لمّا أكمل الله الدين وأتمّ النعمة بالنبي ﷺ توفّاه الله إليه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾، وهو ﷺ داخل في عموم الآية، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾، فالنبي ﷺ ومن أُرسل إليهم ميّتون.

المجلس الثاني عشر والأخير

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى:** ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾، **وقوله تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾".

كلّ الناسَ يؤمنون بالموت، لكنّ الشأن كلّه في الإيمان بالبعث بعد الموت، إعادة الأجسام التي تفتت وصارت تراباً وتفرقت في الأرض إلى ما كانت عليه، فإنّ الذي خلقها أول مرّةٍ من العدم قادرٌ على جمعها وإعادة بعثها، ثم تنفخ فيها الأرواح وتسير إلى أرض المحشر للحساب والجزاء على العمل، قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣﴾، والأجداث هي القبور، وقال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾، فالبعث حقٌّ لا شكّ فيه والإيمان به واجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة، المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدل على البعث بقوله تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾، ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾: من الأرض مبدؤكم، لأنّ أبيكم آدم خُلق من تراب، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ أي: نعيدكم في الأرض، وذلك بالدفن في القبور بعد الموت، ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾: هذا الإخراج من الأرض بالبعث يوم القيامة للجزاء على العمل، واستدل كذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾: حينما خلق آدم من الأرض وذريته منه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾: بالدفن بعد الموت، ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾: وهو البعث من القبور، وهاتين الآيتين بمعنى واحد والآيات في هذا المعنى كثيرة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾". معنى ذلك أنّ الناس بعد البعث مجزيون ومحاسبون بسبب أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وحساب المسلمين يوم القيامة على أقسام فمنهم:

- **من لا يُحاسب:** وهؤلاء يدخلون الجنّة بلا حساب ولا عذاب، لحديث السبعين ألفا الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربّهم يتوكلون.
- **من يحاسب حسابا يسيرا:** وهؤلاء يُحاسبون حساب عرض لا مناقشة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩﴾.
- **من يحاسب ويناقش الحساب:** وهذا على خطر، لقوله ﷺ: **"من نُوقش الحساب عُذّب"**.

ثم توزن أعمال العباد بالميزان، والميزان ميزان حقيقي له كفتان، توضع الحسنات في كِفّة والسيئات في كِفّة.

قال تعالى: "﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾، فمن رجحت حسناتُه سيئاتِه فهو من المفلحين ومن رجحت سيئاتُه بحسناتِه فقد خسر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ومن كذّب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾"**. من يُكذب بالبعث بعد الموت فهو كافرٌ لأنّه أنكر ركناً من أركان الإيمان الستة، ولأنّه مكذب لله ولرسوله ﷺ ومُكذب لإجماع المسلمين، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدل بقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾، وفي الآية دليل على مسألة البعث، ومسألة الحساب والجزاء، قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ أي: اعتقدوا اعتقاداً باطلاً أن لن يَحيوا بعد أن يموتوا، ﴿قُلۡ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾، أمرَ الله نبيه ﷺ أن يُقسم به على البعث والجزاء على العمل في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾، ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾: سهل وهين عليه ﷻ، ووجه الدلالة من الآية أنّ الله ﷻ ذكر الذين يزعمون أنّهم لن يُبعثوا، ووصفهم بالكفر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾"**. الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان الستة وقد سبق، وفي الآية التي استدل بها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان وظيفة المرسلين وهي: **البشارة** لأتباعهم الذين آمنوا برسالاتهم واستجابوا لدعوتهم، فإنهم يبشرونهم بالجنّة، **والنذارة** لأعداء الله وأعداء رُسله وأعداء عباد الله الموحدين، فإنّهم ينذرونهم بالنّار، **وإقامة الحجة:** على من بلغته المحجّة، البشارة والنذارة في قوله تعالى في الآية: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، وأمّا إقامة الحجة ففي قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾، والرّسل: جمع رسول، وهو من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، وأعظم ما دعا إليه الرّسل جميعاً التوحيد.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وأولهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين، والدليل على أنّ أولهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قوله تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾"**، كان الناس على توحيد الله وعلى عبادته دون سواه منذ أن أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض إلى عشرة قرون، فلمّا كان قومُ نوحٍ كان فيهم رجالٌ صالحون، فلمّا مات هؤلاء الصالحون حزنوا عليهم، فأوحى إليهم الشيطان أن صوّروا صورهم وانصبوها على مجالسكم فإذا رأيتموهم تتذكرون أحوالهم وتنشطون في العبادة، ففعلوا ولم تُعبد، حتى ذهب ذلك الجيل وخلفه جيل آخر، أوحى إليهم الشيطان مرّة أخرى، وقال: إنّ آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلّا لعبادتها، وبها كانوا يُسقون المطر، وزين لهم عبادتها فعبدوها، فهذا أول شركٍ حدث في الأرض، فبعث الله ﷻ نوحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعوهم إلى الله ﷻ ويبين لهم أنّ هذا شركٌ ويردُّهم إلى التوحيد الذي هو دين أبيهم آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لكنّهم عاندوا واستكبروا، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾، قال ابنُ عباس: هذه أسماءُ رجالٍ صالحين صوروا صورهم ونصبوها على مجالسهم، فآل بهم الأمر إلى أن عبدوها من دون الله.

فأولُ رسولٍ هو نوحٌ عليه الصلاة والسلام بدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: الخطاب للنبي محمد ﷺ، ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾: فالنبيون من بعده، فلا نبي قبله، ويدلّ على ذلك حديث الشفاعة في الصحيحين: فإنّ الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: **"أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض"**، وآخر الرسل محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾، قال ﷺ: **"أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي"**، فلا نبي بعده، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذبٌ كافرٌ، ومن صدّقه فهو كافرٌ مثله.

قال رحمه الله: **"وكلّ أمّة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد، يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾"**. كلّ أمة من الناس بعث الله إليها رسولاً ليقيم عليهم الحجّة، ورحمة بهم كي لايقولوا: ما جاءنا من بشيرولا نذير، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾، ودعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم هي دعوة الناس إلى التوحيد، وتحذيرهم من الشرك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، اجتنبوا الطاغوت: اجتنبوا عبادة الأوثان والأصنام والقبور وغيرها، وفي الآية تفسير لـ: **لاإله إلّا الله** كما تقدم، ففيها الأمر بعبادة الله وحده وعدمَ الإشراكِ بهِ غيرَه. (نفي وإثبات)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾.

قال رحمه الله: **"وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله"**. فالتوحيد لا يتحقق إلّا بالإيمان بالله وحده واجتناب الطاغوت، وهذا معنى **لا إله إلا الله**، فلا تتحقق إلّا بركنيا معاً النفي والإثبات.

قال: **"قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "معنى الطاغوت: ما تجاوز به العبد حدّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ""**.

الطاغوت: مأخوذ من الطغيان، والطاغوت في اللغة: هو مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١﴾، أي: لمّا زاد الماء عن حدّه حملناكم في السفينة، وأمّا في اصطلاح العلماء: فأحسن ما قيل في تعريفه ما نقله المؤلف عن ابن القيم رحمه الله: **ما تجاوز به العبد حدّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ.**

المعبود: كلّ من عُبد من دون الله بشرط أن يكون راضياً بعبادة الناس له أو يدعو الناس إلى عبادة نفسه.

المتبوع: الواجب اتباعَ النبي ﷺ، فمن اتبع علماء السوء في تحليل الحرام وتحريم الحلال فإنّه طاغوت.

المطاع: الواجب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وطاعة ولاة الأمر في طاعة الله ورسوله.

قال رحمه الله: **"والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله".**

الطواغيت: جمع طاغوت، والطواغيت كثيرون لكنّ رؤوسهم وأكابرهم وزعماؤهم خمسةٌ وهم:

إبليس: اللعين المطرودِ من رحمةِ أرحم الراحمين، وابليس هو: الشيطان الرجيم، رأس الكفر ومصدر الشّر، الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾، هذا هو رأس الطواغيت الأكبر نعوذ بالله منه.

من عُبد وهو راض: من عبده الناس وهو راضٍ بعبادتهم له، أمّا من عُبد وهو غير راضٍ بذلك فلا يدخل في هذا، ولا يدخل في ذلك عيسى عليه السلام فإنّه عُبد من دون الله ولا يزال يُعبد لكنّه عليه السلام غير راضٍ بعبادتهم، ولا يدخل في ذلك عليٌ رضي الله عنه، فإنّه عُبد ولا زالت تعبده الرافضة لكنّه رضي الله عنه غير راضٍ بعبادتهم.

من دعا الناس إلى عبادة نفسه: مثال ذلك فرعون الذي ادعى الربوبية، ومثل غلاة الصوفية فإنّهم يَدعُون الناس إلى عبادة أنفسهم، وهؤلاء من رؤوس الطواغيت سواءً أُجيبوا أم لم يُجابوا.

من ادعى شيئا من علم الغيب: وهذا يدخل فيه السحرة والمنجمون وأضرابهم، كلّ من ادعى شيئا من علم الغيب، **والغيب**: هو ما غاب على الإنسان، وهو نوعان: **واقع:** وهذا يكون غيباً لشخص معلوماً لآخر، فما يحدث في مكان بعيدٍ عنك، هذا غيبٌ لك، وليس بغيبٍ لمن كان في عين المكان، **وغيب مستقبل:** هذا لا يكون معلوماً لأحدٍ إلّا الله وحده أو من أطلعه الله عليه من الرسل، فمن ادعى علم الغيب المستقبل فهو كافرٌ مكذب لله، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

من حكم بغير ما أنزل الله: الحكم بما أنزل الله في كتابه وفي سنّة نبيه ﷺ أمره عظيم، وهو تطبيقٌ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته سبحانه وتعالى، و من الأدلة على وجوب الحكم بما أنزل الله قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

تفصيل القول في الحكم بغير ما أنزل الله:

- إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أنّ الحكم بما أنزل الله لا ينفع أو أنّ الحكم بغيره أفضل أو أنّه مساوٍ له أو أنّ حكم الله لا يصلح لهذا الزمن أو يعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله فهذا يكون كفره كفراً أكبر مخرج من دائرة الإسلام.
- وأمّا إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أنّ حكم الله أفضل وهو الصحيح وأنّ غيره باطل وأنّ الحكم بغيره غير جائز وأنّ حكم الله هو الواجب لكن غلبته نفسه وشهوته أو حكم بغير ما أنزل الله لرشوة، فمثل هذا يكون كفره كفراً أصغر، لا يُخرجه عن دائرة الإسلام لكنّ صاحبه على خطر.

قال ﷫: **"والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾، وهذا هو معنى: لا إله إلّا الله".**

أي: والدليل على وجوب الإيمان بالله وحده والكفرِ بالطاغوت هذه الآية، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾: فلا يُكره على الدخول في الإسلام أحدٌ لأنّ الدخول فيه يجب أن يكون عن قناعة، فنحن ندعو للإسلام والهداية بيد الله، لكن من أصر على الكفر من أهل الكتاب يدفع الجزية فإن أبى فإنّه يُقاتل، ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾: قد تبين الحق من الباطل، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: فلا إيمان بالله دون الكفر بالطاغوت، وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، وهذا معنى **لا إله إلّا الله** كما قال ذلك المؤلف ﷫، النفي ثم الإثبا، ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ العروة الوثقى هي: التوحيد، الإسلام الحق.

قال ﷫: **"وفي الحديث: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذِروة سَنامه الجهاد في سبيل الله"".**

هذا الحديث ضعيف لا يُستدل به، راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب ﷫.

قال ﷫: **"والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم".**

ختم شيخ الإسلام ﷫ رسالته العظيمة بردّ العلم إلى الله ﷻ، فقال: **والله أعلم**، ثم صلى وسلّم على النبي محمد ﷺ، وبهذا نكون قد انتهينا من اختصار التعليق على هذه الرسالة العظيمة المباركة التي نسأل الله ان ينفعنا بها جميعاً. وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا إله إلا انت أستغفرك واتوب إليك.

تم الفراغ منه: ضحى يوم الأحد: لثلاث مضين من شهر الله الحرام رجب لعام ١٤٤٠ هـ.